عبدالله عوده
كنز

عبدالله اسعد عودة

'Awdah

الكبابير .... بلدي

لمحة عن تاريخ القرية منذ تاسيسها وحتى نهاية الانتداب البريطانـــي

الجزء الاول

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

رمضان المبارك ١٤٠٠ هجرية
١٩٨٠

اصدار : دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر
شفاعمرو

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 015433780

(Arab)
DS110
.K312 A92
Juz' 1

الاهـــــداء

★ الـى روح عـودة النـدا الطاهرة ،

الذي أختار لنا هذه البقعه الطيبة مستقرا ومقاما •

★ والى أرواح انجاله الاوفياء ألمخلصـين ،

الذين بعرقهم وبسواعدهم بنوها وعمروها •

★ والى ارواح أولئك الشهداء من أحفاده ،

الذين سقطوا دفاعا عن الدولة العثمانية العلية •

DS 126 (.K27 A7-1

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعـين

مقدمـة الكتـاب

الكبابير قرية عربية تقع على احدى قمـم جبـل الكرمل المطلة على البحر الابيض المتوسط • تبعد عـن مركز مدينة حيفا حوال ٥كم جنوبا • حباها الله بموقع جميل ومناظر طبيعية خلابة• تأسست في الخمسينات من القرن الماضي ، وكانت أول نقطـة استيطان انشئـت على الكرمل الحديث •

كثيرا ما يسأل الناس عن تاريخ هذه القرية، متى نشأت وقامت ومن كان مؤسسوها وبانؤها ؤمـن أيـن جاءوا اليها • هذة التساؤلات اخـذت تتكـرر وتتـردد اخيرا وكلما اوغلنا في التاريخ وابتعدنـا عـن زمـن الاجداد المؤسسين وزاد اختلاطنا بالاجانب كلما كثـر اهتمام ابناء القرية بتاريخ بلدهم وبحثهم عن جذورهم وأصلهم وعلى الاخص الناشئة منهم •

من هذا المنطلق وشعورا منى بالحاجة الى تلبية هذا المطلب الملح قمت بهذه المبادرة وشرعت منذ بضع سنين بجمع وتدوين ما يمكن تدوينه مـن معلومـات

واخبار عن تاريخ قريتنا العزيزة وكان معظمه من افواه الناس لقلة ما وجدت من الاشياء المكتوبة •

وها انا اقدم اليوم لابناء بلدي ولكل مهتم او راغب في التعرف على هذه القرية الوادعة ، كتابي المتواضع هذا وبين صفحاته حصيلة عمل لم اكن اتصور ان يكون القيام به الى هذا ألحد من ألصعوبة • وقد عرفت من خلاله أن كتابة التاريخ هي من اشق صنوف الكتابة واصعبها اذ على المؤرخ بعكس الروائي او القصصي ان يحرس لدى سرده الوقائع التاريخية بأن يتحقق من صحتها ويمحصها ويقارنها قبل نشرها وان يكون فوق كل ذلك أمينا صادقا فيما يكتب • ولقد جعلت كل ذلك نصب عيني اثناء قيامي بهذا العمل لكن العصمة لله فهو وحدة المنزة عن العيب والخطأ •

لقد تناولت في هذا الكتاب تاريخ الكبابير وما يحيط بها منذ تأسيسها ابان الحكم العثماني الذي انتهى على هذه البلاد سنة ١٩١٨ وعلى مدى فترة الانتداب البريطاني بعده على فلسطين الذي أنتهى هو ألاخر بقيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ • لم اتطرق الى زمن الحكم الاسرائيلي وقد تركت ذلك الى مناسبة قادمة راجيا ان افرد له جزءا آخر في المستقبل ان شاء الله •

لقد اسعدني الحظ بان التقيت بعدد من احفاد المؤسس عودة ممن حفظوا الكثير عن احوال ابائهم وعن

مراحل نمو القرية في السنوات الاولى لنشأتها وكانوا لي المشجع الاول والعون الاكبر في تقصي المعلومات التي اعتمدت على كثير منها في كتابي هذا • واخص بالذكر منهم المرحومين الحاج احمد عبد القادر عودة والحاج طيب عبد الحي عودة تغمدهما الله برحمته الواسعة وجزاهما عني خيرا •

ومن بين الاحياء كثيرون هم اللذين قابلتهم ولم يبخلوا علي بتاييدهم او بمعلوماتهم القيمة سواء كانوا من ابناء عائلة عودة او غيرهم من المعارف والجيران أذكر بالشكر منهم كل من : الشيخ حسين أحمد شنبور المولود سنة ١٩٠٠ عميد عائلة شنبور وحفيد المرحوم عودة ، السيد عبد المالك محمد عودة المولود سنة ١٩٠٦ حفيد المرحوم عودة وممن عملوا الكثير في سبيل تطوير القرية ، الشيخ موسى محمد قوصيني المولود سنة١٨٨٦ عميد عائلة قوصيني ومن حمولة الباشية في الطيرة ، والدي الكريم اسعد سعيد عبد الحي عودة المولود سنة ١٩٠٣ ، السيد محمد صالح عبد القادر عودة المولود سنة ١٩١٠ وممن عملوا لصالح القرية منذ حداثة سنه ، محمد عبد الله عودة المولود عام ١٩٠٥ حفيد المرحوم عودة ، مصطفى محمد عودة المولود عام ١٩٠٣ حفيد المرحوم عودة ، الشيخ حسين علي عساف (فرعون) المولود سنة ١٩٠٣ ومن سكان واد السياح المجاور منذ العهد العثماني ، السيد فياض صوداح ألمولود سنة ١٩٠٠ والذي يعمل في الهوسبيس الالماني على الكرمل

منذ سنة ١٩٢٣ ، المهندس يعقوب دافيد سبكتور المولود سنة ١٩٠٢ ابن المرحوم ابرهام اهرون سبكتور طليعة المستوطنين اليهود على الكرمل والذي كان مختارهم حتى قيام دولة اسرائيل ، السيد ماكس فيلدمان المولود سنة ١٨٨٦ أحد الجيران اليهود ألذين جاءوا ألى ألكرمل سنة ١٩٢٤ ، المهندس اوري حراك المولود سنة ١٩٠٠ من الجيران اليهود منذ سنة ١٩٣٤ ، السيد ميخائيل لمام من حيفا المولود سنة ١٨٩٥ موظف البنك العثماني ثم الالماني ابان الحكم التركي ، السيد مؤيد ابراهيم المولود سنة ١٩١٠ امين خزينة بلدية حيفا منذ ١٩٢٩ ، السيد ذيب عابدي من اهالي حيفا القدماء المولود سنة ١٨٩٥ وكان مستخدما عند القائمقام التركي حامد بك ، السيدة نيلي شومخر اخر من بقي من الالمان الذين كانوا على الكرمل ، المهندس يعقوب عولامي عالم الاثار المختص عن منطقة جبل الكرمل ، ثم الكاهن الياس فريدمان رئيس دير الكرمليين في مار الياس • لهؤلاء جميعا ولمن لم أذكر أسمائهم تمنياتي بالعافية والعمر الطويل •

لقد قمت بكتابة هذا التاريخ بمبادرتي الشخصية وعلى مسؤوليتي ونفقتي الخاصة راجيا معذرة القراء أن كنت قصرت في بعض النواحي رغم محاولتي ان احيط بكل ما يمكن الاحاطة به •

واخيرا اشكر المولى تعالى الذي اعانني على انجاز هذا العمل ووفقني لأخراج هذا الكتاب الى عالم النور راجيا ان يعم نفعه القاصي والداني •

نسب ال عودة

« واتقوا الله الذي تسألون به والارحام »
(قرآن كريم)

الاسلام لا يشجع علم الانساب ولذا قالوا بانه علم لا ينفع وجهالة لا تضر • الا ان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز لنا ان نتعلم من انسابنا ما نصل به ارحامنا وما زاد عن ذلك فيدخل في أعمال اللهو واللغو التي كثيرا ما تؤدي الى التفاخر بالاباء والاجداد وتجر الى العصبية التي نهى النبي ألكريم عنها حيث قال :
« ليس منا من دعى لعصبية او قاتل على عصبية او مات على عصبية» ، «الا أن اكرمكم عند الله أتقاكم» •

لذا جئت على نسب العائلة من بعد الجد عودة بالتفصيل حتى الاحفاد لقربنا من عهده ولتأكدنا من صحة ذلك النسب أما عن الاجداد من قبل عودة فلم تتوفر لي معلومات يمكن الركون اليها او سلسلة موثوقة تصل هؤلاء الأباء بالجد الأكبر «الباشن» • ومع ذلك عثرت على قائمة باسماء خمسة من اولئك الاجداد هم على التوالي: عبد الحي ثم عبد الرحيم ثم عبد الرحمن ثم احمد ثم محمد •• حتى الباش • يمكن التسليم بصحة ألجد الاول بعد عودة وهو عبد الحي نظرا للعادة التي كانت

متبعة بأن يسمى الابن الاكبر دائما باسم جدة • ونرى بأن عودة فعل هكذا هو ايضا (فسمى) أبنه ألبكر «عبد الحي» باسم ابيه ، كذلك فعل ابنه عبد الحي من بعده فسمى ابنه البكر «عودة» • كذلك عودة كان يلقب (بأبي عبد الحي) • وأما الذين من قبلهم فلا يعلمهم الا الله •

اما (الباش) فلا جدال ولا شك في أنه جد العائلة الاكبر وهذا معروف ومسلم به عند اهل نعلين كما وانه جد حامولة (الباشية) من الطيرة بلا مراء • وفي رواية أنه كان مؤسس قرية نعلين وبانيها • فحسب هذه الرواية كان الباش أحد قواد صلاح ألدين ألايوبي • وقد رافقه في حملاته ضد الصليبيين وبالتالي اختار موقع نعلين فاستقر به منذ القرن الثالث عشر وسمى المكان بهذا الاسم منذ ذلك الحين • ونعلين قرية تقع ألى الجنوب الغربي من رام الله • وقبر الباش لا زال مشهورا ومعروفا فيها •

ويقال ان بعض ابناء الباش نزحوا عن نعلين في الازمان الغابرة واستقروا في مناطق مختلفة من جبال القدس وغيرها ووصل احدهم الى قرية الطيرة المجاورة وفيها اسس حمولة الباشية المعروفة وذلك سنين عديدة قبل انشاء الكبابير • وهذه الحمولة لم تقطع صلتها بنعلين بدليل ان عودة واولاده اتجهوا اليها عندما

هاجروا من نعلين وقد استقبلوا في الطيرة أستقبال الأقارب •

لقد ولد عودة في نعلين لكن والده توفي وهو حديث السن ثم ماتت امه فتولت عمته ندا رعايته واخيه يوسف وقامت على تربيتهما في بلدها (المزرعة الغربية) المعروفة بمزرعة بني حارث أو مزرعة (شريتح) ألقريبة من نعلين حيث كانت متزوجة • أما يوسف فسرعان ما توفي وظل عودة وحده فكبر وترعرع في بيت عمته الى ان تزوج من صفية منصور من نعلين ورزق منها اولادا ستة وثلاث بنات •

وبينما كان مقيما في الطيرة توفي احد ابنائه الستة ووصل الكبابير مع زوجه واولاده الخمسة عبد ألحي ويوسف وعبد القادر وعبد الله ومحمد وبناته الثلاث فاطمة وحليمة وامنة •

اما اسمه فكان عودة الندا نسبة لعمته وكان يعرف بهذه التسمية منذ جاء وحتى اخر ايام الانتداب ولا يزال أسمه كذا في كثير من التسجيلات الرسمية سواء من عهد الاتراك او الانجليز ولم تقتصر التسمية على عودة فقط الا في عهد اسرائيل •

وفيما يلي تفصيل عن عائلة عودة وتفرعها حتى الجيل الثالث او عصر الاحفاد •

١ــ عبد الحي

هو الابن ألبكر ، تزوج من حواء بنت أحمد الحواء من حمولة الباشية في الطـيرة ورزق منها خمسـة أولاد وثلاث بنات

أما ألاولاد فهم : ١ ــ عودة الأكبر وقد استشهـد في الخدمة العسكريـة ابـان ألحكم ألعثماني •
٢ ــ سعيد ، وتزوج من نجمة محمد خطاب ورزق منها كل من أسعد ومحمد ونبهان ورضوان وفيصـل الاول ثم فيصل الثاني وبنت واحدة هي عدلة • ثم تزوج من حليمة يوسف عودة ارملة اخيه ابراهيم الذي استشهد في الخدمة العسكرية ولم يرزق منها اولاد • ٣ــ طيب وتزوج من فاطمة يوسف عودة ورزق منها عبد الحـي وهاشم ومن البنات طيبة ولطيفة وانيسة • ٤ــ ابراهيم وتزوج من حليمة يوسف عودة ورزق منها جميلة قبـل أن أستشهد في الحرب • ٥ ــ خليل ، توفي غرقا فـي حوض نبع السياح وكان لا يزال في مقتبل العمر •

واما بناته الثلاث فتزوجت الاولى واسمها صفا من عبد محمد خطاب ، وتزوجت الثانية وأسمها عائشـة من داود يوسف عودة وتزوجت زكية الثالثة من مصطفى الباش ــ (كرير) ــ من الطيرة •

٢ــ يوسف :

تزوج من امنة الرضوان من نعلين ورزق منها ابنا واحدا وست بنات •

اما الابن داود فتزوج من عائشة عبد الحي عودة ورزق منها محمد ويوسف وسليمان وزيـدان وعيسـى ومن البنات ليلى وغزالة وامنة ونجمة •

واما البنات فتزوجت هند من احمد عبد القـادر عودة ، وعائشة من عبد الله محمد زيدان ، وفاطمة مـن طيب عبد الحي عودة ، وحليمة من ابراهيم عبـد الحـي عودة وبعد وفاته من أخيه سعيد عبد الحي عودة ، وفضية من أسعد سعيد عودة ، وخديجة من عبد المالـك محمـد عـودة •

٣ــ عبد القادر :

تزوج من حليمة ابو حسان من حمولة الابطح في الطيرة ورزق منها اربعة ابناء وبنت واحدة •

أما الابناء فهم : ١ ــ صالح ، وتزوج مـن مـريم محمد خطاب ورزق منها عبـد القـادر ومحمـد ومحمود وحامد وعبد الجـواد • ومـن البنات فاطمـة وامنة وحليمة وخديجة • ٢ أحمـد ، وتزوج من هند

يوسف عودة ورزق منها كل من محمد وعبد الهادي واسماعيل ورشيد ومحمود ، وبنت واحدة هي عائشة ٣ ــ حسن ، وتزوج من زينب عبد الله عودة ورزق منها كامل وعلي ونجيب وفاطمة • وبعد وفاتها تزوج من عدلة مسعود من حمولة الابطح في الطيرة ورزق منها محمد ومحمود وحليمه • ٤ ــ حسين ، وتزوج من رحمة محمد عودة ورزق منها كل من فؤاد وعبد الجليل ويونس وعبد الله وزين العابدين ومحمد ، ومن البنات منتهى وزبيدة • أما البنت خديجة فتزوجت من علي محمد خطاب •

٤ــ عبد الله

تزوج من مريم بنت احمد ابو عزيزة من حمولة الباشية في الطيرة ورزق منها ثلاثة اولاد وبنت واحدة•

أما ألاولاد فهم : ١ ــ محمود ، وقد استشهد اثناء الخدمة العسكرية في الجيش التركي ولم يزل بعد اعزبا ٢ ــ عباس، وتزوج من فاطمة صالح عودة ورزق منها عبد الله وعبد الرحمن ومحمود ، ومن البنات حكمة وايسة ومباركة ومريم ونجلى • ٣ ــ محمد ، وتزوج من امنة صالح عودة ورزق منها كل من لطفي وخالد وبراهيم وعثمان ، ومن البنات سارة ولطيفة وسكينة وصفية وأما البنت زينب فتزوجت من حسن عبد القادر عودة •

٥ــ محمد

تزوج من زينب علي العنسي من نعلين ورزق منها اربعة أولاد وخمس بنات •

أما الاولاد فهم : ١ ــ علي ، وتزوج من صديقة موسى زيد سرور من نعلين ورزق منها محمد ، ومن البنات يسرى وهدى وصفية وفاطمة • وبعد وفاتها تزوج بثانية هي لطيفة الزواوي من الطيرة ورزق منها بنت اسمها أنعام •

٢ ــ مصطفى، وتزوج من فضة خليل اسماعيل من الدامون قضاء عكا ورزق منها كل من صبحي ومحمد وعبد الرحمن ومحمود وعمر وعبد اللطيف ، ومن البنات أمنة وعائشة ورقية وفوزية • ٣ ــ عبد المالك ، وتزوج من خديجة يوسف عودة ورزق منها كل من عطاء ومحمد وطه ومنير ، ومن البنات بهية وأمنة ولطيفة • ٤ ــ عمر ، وقد توفي ولم يزل في مقتبل العمر •

واما البنات فتزوجت اسماء من محمد احمد شنبور ورحمة من حسين عبد القادر عودة ، ونفيسة من محمد موسى سرور وبعد وفاته من اخيه نايف موسى سرور وتزوجت هاجر من محمد داود عودة ، وأما فاطمة فلم تتزوج •

اما بنات عودة الثلاث فهن :

١ــ فاطمة

وتزوجت من احمد شنبور من حمولة الباشية في الطيرة ورزقت منه سبعة اولاد هم : محمد وابراهيم ويوسف وعيسى وحسن وحسين وإسماعيل وخمس بنات هن : صفية وعفيفة وحليمة وامنة وزينب •

٢ــ حليمة

وتزوجت من أحمد الباشا (ــ كرير ــ) من الباشية في الطيرة ورزقت منه كل من مصطفى وراضي •

٣ــ امنة

وتزوجت من وادي من نعلين ورزقت منه أسعد •

لقد توفي عودة وزوجته صفية في اواخر القرن الماضي في الكبابير ، وتوفي عبد الحي سنة ١٩١٨ وقبل دخول الانجليز البلاد بثلاثة أشهر وكان له ما تمنى من أن يتوفاة الله في حكم الأسلام • وفي العشرينات من هذا القرن توفي كل من يوسف عودة وعبد الله عودة ومحمد عودة ، وتوفي عبد القادر في اوائل الثلاثينات ودفنوا في الكبابير رحمهم الله جميعا •

الهجرة من نعلين الى الكبابير

« الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ »
(قرآن كريم)

تختلف الروايات حول اسباب هجرة عودة من نعلين مسقط راسه وموطن عائلته واقربائه الى مكان غريب بعيد هو قرية الكبابير على جبل الكرمل • ففي رواية ان نزاعا دمويا وقع بين القيسيين واليمنيين في نعلين سقط فيه عدد من القتلى وكان عودة وهو من القيسيين متهما بقتل اربعة من اخصامه اليمنيين وكان من شروط الصلح بين الطرفين اقصاء عودة عن القرية وقد قبل عودة الخروج من نعلين بمحض رغبته وبعكس ارادة اهله بغية ان يتم الصلح ويزول الخصام بين الحمائل •

وفي رواية اخرى انه خرج من نعلين ليجنب اولاده الخدمة العسكرية ايام الحكم التركي وهي اضعف الروايتين •

ترك عودة بلده واتجه مع اولاده وما لديه من اغنام وماشية نحو الشمال ، فكانت قرية فرعون الواقعة جنوب طولكرم أول مكان نزل فيه • ويظهر أنه اقام فيها بضعة اشهر • يقال ان مختار القيسيين في نعلين انذاك لحقه الى فرعون ليطمأن عليه وعلى اولاده ووصى اهل

فرعون بالحفاظ عليه • ويذكر ان اهل فرعون اكرموه واحسنوا اليه وكان مضيفه يقاسمه منتوجاته الزراعية وافرد له ولاولادة جزءا من داره • ويقال أنه كان يطمئن عودة ويحرص عليه وعلى اغنامه حرصا شديدا• وظل عودة واولاده يذكرون فضل أهل فرعون حتى مماتهم •

غادر عودة قرية فرعون متجها نحو الطيرة حيث اقربائه من حمولة الباشية اذ كان هذا مقصده منذ خرج من نعلين • ولما وصلها نزل على شيخ الحمولة انئذ المرحوم أحمد الجربوع (أبو رضوان) وظل في الطيرة قرابة السنتين وفيها فقد احد اولاده الستة • وبعدها طلب الخروج والسكنى في مكان منفرد ويقال ان كثرة المخاصمات والمنازعات بين حمائل الطيرة المختلفة كانت من الاسباب التي حفزته على الخروج من القرية بحثا عن مكان هادىء يعيش فيه مع اولاده بعيدا عن تلك المنازعات والمخاصمات •

قبل مضيفه الفكرة فأنفذ أحد ابنائه مع عبد الحي عودة ليبحثوا في اراضي الطيرة عن مكان مناسب وقادتهما الاقدار الى موقع الكبابير وكان فيه أثار بلدة قديمة ، ولقربها من ماء السياح اختيرت مستقرا للعائلة المشردة • وعلى الاثر اعد احمد الجربوع وثيقة وقعها وجهاء الحمائل الاخرى في الطيرة منح بموجبها لعودة واولاده موقع الكبابير • فغادر بعدها عودة واولاده الطيرة والقوا عصا ترحالهم نهائيا في هذا ألمكان ألذي ظل لهم منذ ذلك الحين مقرا او مقاما •

الكبابير ـ دار القرار

«واذ قلنا ادخلوا هذة القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا»

((قرآن كريم))

يبدو ان سبب اختيار هذا المكان بالذات ليكون مقرا لعائلة عودة هو وجود اثار لقرية قديمة يمكن الاقامة عليها ، ثم قرب المكان من الماء في الواد المجاور وكذلك قربه من حيفا التي كانت قد بدأت تنمو وتزدهر •

اما تاريخ نزول عودة واولاده هذا المكان وتأسيسهم قرية الكبابير فليس معروفا بالتاكيد لعدم وجود مراجع مكتوبة • ومن غير اليسير تعيين تاريخ محدد لذلك • ألا انني خلصت الى نتيجة اعتقد انها اقرب ما تكون الى الحقيقة والواقع وهي ان الكبابير تأسست خلال العقد الخامس من القرن الماضي • وقد اعتمدت في ذلك على عدة شواهد منها شهادة المرحوم الحاج احمد والتي ايدها اخرون ان عمه عبد الحي دعي الى الجندية قبل اخوانه الاخرين وكان ذلك عند نشوب حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا تلك الحرب التي ابتدأت سنة ١٨٥٣ وانتهت سنة ١٨٥٦ وكان عمره انذاك عشرون عاما تقريبا• أما الاخوة الباقون فقد طلبوا الى الخدمة العسكرية بعد ذلك بقليل وفي زمن السلطان عبد العزيز الذي أستمر حكمه من سنة ١٨٦١ حتى ١٨٧٦ • ومع الاخذ بالاعتبار

حقيقة ان عبد الحي كان قد انخرط في الخدمة العسكرية والعائلة ما زالت في الطيرة، والتحق بقية الاخوة بالجندية بعد أن استقرت العائلة في الكبابير ببضع سنين فعليه تكون بداية استقرارهم في الكبابير في أوائل الخمسينات من القرن الماضي ٠

ثم اذا أخذنا بالاعتبار تاريخ وفاة الأبن الأكبر عبد الحي وكان ذلك في أواسط عام ١٩١٨ ، والذي كما علمت توفي وهو في الثمانينات من عمرة فاننا نصل الى النتيجة نفسها أي الخمسيات من القرن الماضي ٠

ثم لو اخذنا بالاعتبار تاريخ ولادة المرحوم سعيد عبد الحي عودة وهو سنة ١٣٠١ هـ (بموجب شهادة ولادة عثمانية رسمية) وتاريخ ولادة المرحوم الحاج صالح عبد القادر عودة وهو عام ١٨٧٧م (حسب التسجيل في الهوية الاسرائيلية) نصل الى الفترة الزمنية ذاتها ٠

يرجح من الآثار التي وجدت في الكبابير أن المكان كان معمورا زمن الصليبيين الذين أقاموا لهم وقتها حصنا في عين أم الفرج القريبة في وادي السياح وحيث لا زالت أثارهم ماثلة للعيان٠ ويقول الراهب الياس فريدمان رئيس دير مار الياس الذي اجرى ابحاثا قيمة عن اثار الكرمليين على الكرمل ان الكبابير كانت بلدة كبيرة للصليبيين وربما الوحيدة على جبل الكرمل أنذاك ٠

ومن الشواهد الأثرية القديمة الموجودة في القرية جدار كبير كان على ما يبدو جزءا من سور أقيم حول

القرية يمتد من بيت المرحوم الحاج يوسف عودة شمالا ثم غربا على مساحة تبلغ ستة دونمات تقريبا ٠ ويقال أن أهل القرية أخذوا منه أحجارا كثيرة للبناء ولا يزال جزء منه قائم حتى اليوم ٠

كذلك المغارة الواقعة في وسط القرية داخل السور والتي بنيت حولها فيما بعد بيوت الاخوة الخمسة واستغلت أول الأمر للماشية ٠ ويقال أنها كانت في الواقع خزان ماء كبير فتحوا فيه بابا من ناحيته الغربية لحفظ الاغنام فيه ؛ وقد أهمل فيما بعد واليوم تصرف أليه المياه القذرة من البيوت المحيطة ٠

كذلك ظهرت في السنوات الاخيرة أثار سلاسل في سفح الجبل جنوب بيت المرحوم محمد عودة بعد ان جرفت عنها التربة يرجع تاريخها الى ما قبل مجيىء عائلة عودة الى الكبابير ، وكذلك سلاسل اخرى مماثلة في السفح الشمالي الغربي من الجبل الذي تقع عليه الكبابير حيث لم يقم أهل الكبابير سابقا باعمال زراعية ٠ ويستدل من هذه السلاسل ان سكان المكان القدماء كانوا يستغلون الارض حتى اخر الجبل غربا ٠

كما وظهرت أثناء حفر أسس بعض البيوت الواقعة حول النخلة في وسط القرية وقريبا من المغارة القديمة صخور مقطوعة قد تكون اجزاء من خزانات أو حمامات أو غير ذلك غمرتها مع الوقت الانقاض والاتربة المتراكمة عليها ٠

اما تسمية الكبابير بهذا الاسم فتختلف حولها الاراء • فهناك قول بأن المكان كان يعرف عند أهل الطيرة بخربة الكبابير حتى قبل ان يأتي اليها عودة واولاده واخذ هذا الاسم عنهم اذ كانت جزءا من اراضيهم وكان لا بد لها من تسمية لديهم •

ويقول اخرون ان اسمها كان المنصورة وتحوّل الى الكبابير بعد أن استقرت فيها عائلة عودة وذلك استنادا الى المعاهدة التي عقدها قلاوون مع الصليبيين سنة ١٢٨٢ والتي جاء فيها ذكر «عين السياح» «ومار الياس» «والمنصورة» «وعسفيا» •

(راجع برافار. تاريخ مملكة الصليبيين ، جزء ٢، ص ٥١٠)

ويقول رأي اخر ان الاسم كبابير مشتق من كلمة «كبارة» جمعها كبارات وهي سقف «التون» الذي كانوا يصنعون فيه الكلس قديما • ولكثرة اشتغال أهل الكبابير بهذة الصناعة أطلق على المكان أسم كبابير نسبة للكبارات (أنظر الفقرات التالية عن الموضوع) •

ويربط رأي اخر هذه التسمية بحقيقة ان كثيرين من اكابر حيفا ووجهائها كانوا يترددون على هذه القرية أبان العهد العثماني لما كانوا يلقون من أهلها من الاكرام وحسن الضيافة فيروحون عن أنفسهم في ظلال اشجارها ونسبة لزيارات هؤلاء الكبار سميت الكبابير •

وقد راج حديثا رأي بان أسم الكبابير مشتق من نبتة تدعى «القبار» (جمعها قبارات او قبابير) • وهي

نبتة من فصيلة اشواك «العليق تورق في الصيف فقط لون ورقها أقل اخضرارا من ورق العليق العادي لكن اشواكها أقوى وأكبر ولذا لا تاكلها الماشيه ، تتفتح منها زهرة بنفسجية جميلة ينبت مكانها قرن طوله ٥ — ٦ سم يتفتح هو الأخر بعد أن يجف ويشتمل على حبوب سوداء صغيرة • وينبت هذا القبار في منطقة جبل الكرمل وكذلك حول الكبابير وخاصة في الأماكن الجافه وحتى فوق الصخور وعلى جدران المنازل القديمة • وقد اكد لي أحد مدرسي ألطبيعه أنه رأى هذة النبته على حائط المبكى في القدس • وتدعى باللاتينية بأسم Thorny caper وبالعبرية צלף • ومع أن هذة النبتة معروفه لدى أهل الكبابير ألا أنني لم أسمع من أحد من مشايخها ايماز تسمية الكبابير لهذا الشوك •

عندما قدم عودة وابناءة الى هذا المكان كانت تكسو جبل الكرمل احراش كثيفة ، ولم يكن على الكرمل انذاك سوى دير مار الياس وبجنبه قصر الوالي ألتركي عبد الله باشا ، ولا يزال بعض من قابلتهم من شيوخ القرية يذكرون ضخامة الاشجار قبل ان قطعتها الحكومة وقودا للقطارات ابان الحرب العالمية ألاولى ، ثم الى اي حد كان من الصعب والخطر التجول في المنطقة لكثرة ألوحوش المفترسة فيها ولكثرة اللصوص وقطاع الطرق الذين اتخذوا من الكرمل مخبأ لهم • وقد كانت حيفا تشكو الكثير من أولئك اللصوص • في مثل هذه الظروف القاسية والمحفوفة بالمخاطر صمد عودة واولاده بصبر ورباطة جأش أمام جميع المصاعب والتحديات •

لقد استقر عودة واولاده عند الكهف المذكور وأقاموا لهم باديء الامر بيتا متواضعا — (خشة) — بجنبه ثم هدم وأقيم مكانه فيما بعد بيت لمحمد أحد أولاده الخمسة الذين بنى كل منهم بيتا قريبا من هذا الكهف • وقد بنوا جميعهم على نمط واحد وعلى الطريقة القديمة : جدران البيت من الأحجار والكلس مملوءة من الداخل بالتراب والسقف معقود بالاحجار أيضا على شكل أقواس بدون الأسمنت أو الحديد وكانوا يسمون بيتا كهذا «عقدا» وجمعه عقود • ويشتمل مثل هذا البيت عادة على ثلاثة أو أربعة أقسام • في القسم السفلي وعلى نصف مساحة البيت تقريبا اسطبلا للدواب والماشية وله باب خاص ، وعلى النصف الاخر المقابل والذي يعلو (القسم الأسطبل السفلي) بمتر واحد تقريبا قسم للاعمال المنزلية كالطبخ والغسل وحفظ المؤونة وهذا يكون عادة بمستوى سطح الارض وفيه الباب الرئيسي • ثم فوق القسم السفلي ومقابل القسم الثاني سدة يصعد اليها من القسم الثاني بثلاث أو اربع درجات تستعمل للجلوس وللمبيت والى أحدى جوانبها سدة أخرى صغيرة لحفظ ألفراش وقت النهار وكذلك الاغراض الخفيفة • وكلا البابين الباب الرئيسي لابناء العائلة والباب السفلي للدواب يغلقان ليلا بدعامة أو نجر قوي من الخشب أو الحديد ، (جارور) ويكون للبيت عادة شباك واحد عند سدة الجلوس وطاقة أو طاقتين في أعلى البيت للتهوية • ولا تزال بيوت الاخوة الخمسة قائمة حتى اليوم رغم التغييرات الداخلية التي أجريت على ثلاثة منها • وقد بنى

ثلاثة من ألأحفاد بيوتا على نمط البيوت القديمة ولكن بدون قسم الحيوانات • ومن دراسة هذه البيوت يتبين كيف كانت الاوضاع الامنية تتطلب قديما ابقاء المواشي قريبة من أصحابها الى حد تخصيص أجنحة لها داخل المساكن ، ولكن بعد أن أخذ الامن يستتب في البلاد ، في أواخر العهد التركي وخاصة بعد الاحتلال البريطاني ، وصار الناس يأمنون على أموالهم وارزاقهم ومواشيهم بدأوا يبنون أسطبلات وزرائب للمواشي والدواب خارج بيت السكنى • يظهر هذا لدى الاطلاع على بيوت الاحفاد التي بنيت فيما بعد والتي لا تشتمل على قسم للدواب كما كان عليه الحال قبل ذلك في عهد ابائهم •

وفي المراحل الاولى لاستقرار عودة واولاده في الكبابير بنيت «الزاوية» التي كانت ملتقى أبناء العائلة يجتمعون فيها كل مساء يعبدون ربهم ويستقبلون فيها اضيافهم • وقد بنيت هذه الزاوية على مرحلتين الاولى زمن الابناء والثانية زمن الاحفاد • وقد روى لي المرحوم الحاج أحمد أن القسم الاول بناه عمه عبد الحي بمساعدة النساء اللواتي كن يجلبن له الرمل وقتها من شاطيء البحر والماء من نبع السياح على رؤوسهن يوم كان أخواه عبد القادر ويوسف في الجندية وكان عبد الله لا زال في الازهر ومحمد اليافع يرعى الماشية • أما المرحلة الثانية فقد تولى بناءها هو وأبن عمه المرحوم الشيخ علي محمد سنة ١٣٢١ هجرية • وقد بلغت مساحتها الكلية حوالي ٣٠م٢ • وكانوا يسمونها في البداية «الخلوة» لان

أخيهم الشيخ عبد الله عودة كان يخلو فيها بعد أن رجع من الأزهر ولكنهم غيروا أسمها الى زاوية سنة ١٣٠٩ • ليميزوها عن الخلوة عند الدروز • وقد ظلت الزاوية منتدى أهل القرية حتى أقامة المسجد الجديد سنة ١٩٣٤ • وبعد أن اجرى التنظيم المدني في الكبابير وقعت الزاوية في أرض الشارع فهدمت وكانت تقع بين بيت المرحوم الحاج داود والمقبرة •

ظل الاخوة الخمسة بعد زواج أخواتهم خارج القرية ووفاة أبيهم يعيشون فترة طويلة كعائلة واحدة وحتى بعد ان تزوجوا وصار لكل منهم بيت خاص ظل بينهم تقسيم للاعمال فكان الاخ الاكبر عبد الحي يتولى شؤون العائلة الداخلية ومن ذلك أستقبال الضيوف والاعتناء بهم ، ويوسف وعبد القادر للعمل سواء في الزراعة أو في صناعة الكلس ، ومحمد لتربية الماشية والاغنام ، وأما عبد الله فكان شغله الدين والعلم والتعليم •

لقد كانت حياتهم حتى اواخر العهد العثماني شبه اشتراكية فكانوا يقسمون المحاصيل الزراعية وكذلك ما يكسبونه من صناعة الكلس بين الأخوة الخمسة • أما الغنم فكانت تحلبها في كل يوم أسرة من الاسر الخمسة• وكان على كل من الاخوة الخمسة أن يحضر جميع متطلبات الزاوية من طعام أو قهوة للضيوف بالتناوب وكانوا يتعاونون في حالة حضور عدد كبير من الضيوف في أن واحد •

لقد أعتمد أبناء عودة في معيشتهم على ثلاث مصادر: الزراعة وتربية الماشية وصناعة الكلس

اما زراعتهم فكانت باديء بدء على الجبل ثم في منطقة رشميا وأخيرا في السهل الساحلي • فضمن أرضهم الزراعية على الجبل كانوا يزرعون الارض الفوقا وهي الارض المشار اليها برقم ١ــ على الخارطة ضمن الفصل عن الارض ثم الارض المرقمة ٣ ، ٤ والتي صارت تعرف فيما بعد بارض وكيم وأرض أحمد مراد • كذلك كانوا يزرعون أرض رشميا أحيانا التابعة لبلد الشيخ بطريق الضمان • وبالأضافة الى ذلك كانت القرية محاطة بكروم الفاكهة • وفي اواخر العهد العثماني أبتاع اهل الكبابير اراض زراعية في السهل الساحلي وكانوا يستغلونها كذلك للزراعة • (انظر الفصلعن الاراضي)

اما مصدر المعيشة الثاني فكان صناعة الكلس بطريقة «التون» البدائية والتي ظل أهل الكبابير يمارسونها حتى الثلاثينات من هذا القرن والتون هو عبارة عن حفرة مستديرة يبلغ عمقها حوالي ٣ أمتار وقطرها ٥ أمتار تبنى من الداخل بالاحجار اليابسة (الناريه) وتسقف بالاحجار الكلسية (السلطانية) على شكل قبة ترتفع عن سطح الارض حوال مترين وتغطى بالحصى على سمك نصف متر تقريبا وهذه القبة المعقودة هي التي يسميها البعض «كبارة» ، ويقال منها أشتق أسم الكبابير • ولهذا ألتون

باب واحد ينخفض قليلا عن سطح الأرض أرتفاعه حوال ٨٠سم وعرضه حوال ٦٠سم موجها على العموم نحو (مهب الريح • ثم يؤتى باغصان الاشجار اليابسة) والاشواك (القطيع) وهو «الحطب» الذي يقطع ويجمع في كومات خاصة تدعى كبابيش وهذا الحطب يحرق داخل التون على مدى يومين او ثلاثة ويظل القائمون عليه يتناوبون الاطعام او الوز ليل نهار بلا انقطاع الى أن يخرج اللهب من خلال الكبارة فيكون ذلك أشارة الى ان ألتون قد نضج واستوى • وعند هذه الكبارات يحتاج الى مهارة ودقة حتى لا تتداعى اثناء اطعام التون بالقطيع • ثم يترك بضعة أيام حتى يبرد فتجمع الأحجار والحصى المحروقة وتباع كلسا «فحلا» يستعمل بعد أن يروى بالماء • ويعتبر هذا الكلس من أجود وأقوى أنواع الكلس • ولا تزال آثار هذه الحفر قائمة حتى يومنا هذا ويصل عددها في منطقة الكبابير الى حوال ١٥ حفرة اذ كانوا يتنقلون من مكان الى اخر سعيا وراء الحطب وبعد أن تنبت الاشجار والنباتات من جديد يعودون ليقطعوها مرة أخرى •

ولقد اطلعت على خارطة عند عالم الآثار المهندس عولامي تظهر فيها مواقع حفر الأتوان على جبل الكرمل كله يظهر منها بأن هذه الصناعة كانت معروفة عند غير أهل الكبابير أيضا كأهل الطيرة وحيفا وبلد الشيخ الخ ، ولكن الذي يلفت النظر هو كثرة وجود هذه الحفر حول الكبابير بالنسبة للاماكن الأخرى ، وفي ذلك ما

يدل على أن أهل الكبابير كانوا قد برزوا عن غيرهم في هذه الصناعة بشكل خاص ، الأمر الذي يدعم الرأي بأن تسمية القرية بالكبابير جاءت من اسم كبارة التون • وقد يكون سبب توجههم الى صناعة الكلس بهذه الكثرة حقيقة ان الكبابير تقع في رأس الجبل ولم تكن بتلك القرية الزراعية التقليدية ، لذا كانت صناعة الكلس أمرا دعت اليه حالتهم الاقتصادية •

واما ما يتعلق بتربية المواشي فقد كان للاخوة الخمسة باديء الامر قطيع واحد من الغنم ظل مشتركا حتى اواخر العهد العثماني يتقاسمون المنتوج بينهم • وبعد ان اصبح لكل من الاخوة الخمسة عائلة واولاد أخذ كل منهم يعنى هو واولاده بتربية ما يشاؤون من الاغنام او البقر وبعد ان كان للعائلة باشور واحد للبقر ورواق واحد للغنم مشترك «هو الواقع بجانب بيت الحاج طيب» اقام كل من الاخوة الخمسة أروقة وبواخير على نحو ما يريد •

وكان نبع السياح هو مورد الماء الرئيسي للقرية فعليه ترد مواشيهم ومنه يجلبون حاجتهم من ماء الشرب الى اعلى الجبل اما على رؤوس النساء او على ظهور الدواب وظل الحال كذلك حتى جلبت المياه الى الكبابير بواسطة الانابيب من شركة المياه على جبل الكرمل سنة ١٩٤٥ •وبالاضافة الى نبع السياح تقع في نفس الوادي وعلى مقربة منه عين ماء اخرى هي عين ام الفرج ولكونها

اضعف من نبع السياح كان سكان القرية يستغلون ماءها في الحالات الخاصة والاستثنائية •

ومع نهاية الحكم التركي سنة ١٩١٨ لم يكن عدد الابنية في الكبابير يتجاوز ال١٥ معظمها للسكن ولم يكن عدد سكانها يتجاوز السبعين نسمة •

بعد ان استقر الحكم البريطاني في البلاد بدات الحياة تأخذ شكلا جديدا • كان اهم ما قامت به حكومة الانتداب تأمين الطعام للسكان الذين فتك الجوع بهم واودى بحياة الكثيرين منهم (راجع الفصل عن الخدمة ألعسكريه والحرب العظمى الاولى) فقد أخذت تتدفق على البلاد السلع والمواد الغذائية على مختلف انواعها وامتلات الاسواق بالسكر والطحين الابيض الاسترالي والرز وغيرة بعد أن غابت هذة السلع عن الانظار سنين عديدة •

اما الامر الثاني الذي حققه الانجليز والذي لا يقل عن الاول أهمية فكان استقرار الامن في ألبلاد وحكم القانون بعد أن عم النهب والسلب وضربت الفوضى أطنابها في البلاد خاصة أثناء الحرب العظمى الاولى اذ لم تكن سلطة ولا نظام ولا قانون على مدى خمس سنين متتالية• ثم مبادرة الحكومة البريطانية ولاول مرة في تاريخ البلاد بفتح مدارس حكومية يقدم فيها التعليم مجانا بعدما كانت المدارس الوحيدة هي مدارس الطوائف والارساليات

وبانشاء المستشفيات الحكومية لمعالجة المرضى مجانا الامر الذي لم يكن متوفرا ابان الحكم التركي •

بالاضافة الى كل هذا تفتحت في البلاد اشغال ومرافق جديدة لكسب العيش وبالنسبة لحيفا خاصة فان مد خط سكة الحديد من حيفا الى العريش بعد الاحتلال بسنة قد ربط حيفا بمصر وزاد من أهميتها التجارية والاهم من ذلك مشروع حكومة الانتداب في اواخر العشرينات بانشاء ميناء حيفا الحديث الذي اصبح اهم مواني بلدان الشرق الأوسط على البحر الابيض المتوسط ناهيك عن حركة العمران التي لم يسبق لها نظير والتي بدأت بتدفق الهجرة اليهودية على البلاد حال استتباب الحكم البريطاني على فلسطين وكان نصيب حيفا والكرمل من ذلك كبيرا مما عاد على اهلها بانتعاش اقتصادي لم يعهدوه من قبل •

كما ويجب ان لا ننسى عامل الاطمئنان النفسي وزوال الشعور بالخوف والقلق لدى الاهلين على شبابهم وفلذات اكبادهم من جراء الخدمة العسكرية التي كانت في العهد العثماني الاخير ممزوجة بالظلم والعذاب للعرب ، وذلك بعد أن رأى المواطنون انفسهم غير ملزمين بالخدمة العسكرية • وحتى اثناء نشوب الحرب العظمى الثانية بين الانجليز والمانيا لم يطلب أبناء هذة البلاد للخدة العسكرية وتركت لهم الحكومة الخيار بان يتطوع للجيش من يرغب منهم في ذلك • وظل اهل هذه

البلاد اثناء تلك الحرب ينعمون بأمن وراحة ووفرة من العيش لم تتوفر لسكان بريطانيا نفسها ٠

لقد ظل اهل الكبابير يعتمدون في معيشتهم على مصادر الرزق الاولى وهي الزراعة وتربية المواشي وصناعة الكلس ولكن سرعان ما اضمحلت هذه المصادر وتفتحت بدلها موارد رزق جديدة أهمها العمل بالاجرة وخاصة في مجال العمران الذي غزا جبل الكرمل منذ العشرينات ٠

لقد كان في كل بيت من بيوت الكبابير اما قطيع من الماعز او الغنم او عدد من الابقار وكانوا يبيعون البانها في حيفا وعلى جبل الكرمل ولكن مع بداية النهضة العمرانية على الكرمل وتحول الكثيرين من أبناء القرية الى العمل في البناء ، ثم بسبب صدور القانون البريطاني الذي يحذر تربية الماعز في منطقة حيفا والكرمل تقلصت قطعان الماعز والغنم في القرية وخاصة بعد أن ضمت الكبابير الى منطقة حيفا سنة ١٩٣٤ واصبحت حيا من أحياء المدينة ٠

واما صناعة الكلس بطريقة التون فقد تلاشت هي الاخرى وزالت كلية في الثلاثينات واسباب ذلك ادخال الزيت كوقود بدل الحطب واستنباط طرق واساليب تقنية حديثه أسهل بكثير من تلك الطرق القديمة التي كان العمل فيها كما وصفه لي بعض الشيوخ ضرب من الاعمال الانتحارية ٠

كذلك فقد تقلصت الاعمال الزراعية عند اهل القرية وكانت الدوافع الاساسية لذلك انهم فقدوا معظم اراضيهم الزراعية ٠ فالارض التي كانوا يزرعونها على الجبل ضاعت في العشرينات (راجع فصل الارض) ثم أن ارضهم الزراعية الواقعة في الساحل خسروا كذلك معظمها بعد ان صادرتها الحكومة البريطانية في الثلاثينات لانشاء معسكرات للجيش عليها ٠ وما كاد ينتهي الحكم البريطاني على البلاد الا واهل الكبابير بغالبيتهم قد تحولوا من فلاحين الى عمال وموظفين ٠

ان من اهم التطورات التي طرأت على قرية الكبابير ابان الحكم البريطاني هو ضم القرية الى منطقة بلدية حيفا سنة ١٩٣٤ وتحول الكبابير من قرية تابعة للطيرة الى حي من أحياء المدينة وتابعة لتنظيمها المدني ٠ ثم أن أراضي القرية التي ظلت حتى عهد الانتداب مشاعا وغير مسجلة في دوائر الطابو جرى عليها تخطيط جديد بموجب التنظيم المدني وقسمت الاراضي الى قسائم بناء وشوارع وحدائق عامة ووزعت الاراضي على العائلات الخمسة بالتساوي (راجع الفصل عن الارض) ٠

وفي الاربعينات اهتمت القرية بمد شارع يصلها بالمدينة ففتح وعبد اول شارع سنة ١٩٤٦ بواسطة المقاول ذيب الكايد من الطيرة وعلى حساب اهل القرية دون مساعدة من الجهات الرسمية ٠ وبعد ذلك بحوال السنه مدت القرية شبكة المياة الاولى من شركة تزويد

المياة على جبل الكرمل وعلى حساب أهل القرية ايضا واريح ألاهلون بذلك من عناء جلب المياة من وادي السياح •

ومع انتهاء الحكم البريطاني على البلاد سنة ١٩٤٨ كان مجموع الابنية السكنية في الكبابير يقارب الخمسين غرفة سكن القديمة منها والحديثة ثم المسجد والزاوية وكذلك حوال ٢٠ مبنى اخر كانت تستعمل لاغراض مختلفة مثل اروقة للغنم ويواخير للبقر ومخازن للتبن وطوابين للخبز • وكان مجموع العائلات من أهالي القرية حوال ٢٥ عائلة تشتمل على ما يقارب ال ٢٥٠ نسمة •

العائلات الاخرى

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »
(قرآن كريم)

لم تنقطع صلة عودة واولاده ببلدة الاصلي واهله حتى بعد ان استقر به المقام في الكبابير ولم ينقطع عن زيارته في بلده الجديد اهله واقاربه وابناء بلده من نعلين فقد تزوج اثنان من اولاده الخمسة من نعلين وتزوج بنتان من بناته الثلاثة في بلدهن الاصلي كذلك •

وقد لحق به بعد ان استقر في الكبابير بعض ابناء بلده واتخذوا هم كذلك من الكبابير مقرا لهم وتمت بينهم وبين ابناء عودة مصاهرة ونسب فتكونت مع الايام بضع عائلات صغيرة هي على التوالي :

أ ــ عائلة خطاب

في اواخر القرن التاسع عشر حضر الى الكبابير المرحوم محمد خطاب (ابو العبد) وكان من اقرباء عودة في نعلين ، ومعه ولدان هما عبد وعلي وبنتان هما مريم ونجمة • فاقام في الناحية الشمالية للقرية قريبا من مقر العائلة اليوم• ومع الايام تزوج ابناه وبنتاه في الكبابير

فقد تزوج ابنه الاكبر عبد من صفا بنت عبد الحي عودة ورزق منها سليم وسعد ويونس وصبحة وسارة وجميلة وتزوج ابنه الثاني علي من خديجة عبد القادر عودة ورزق منها داود وحسن وامنة وبعد وفاتها تزوج بثانية هي عفيفة شنبور ومنها رزق نجمة وتمام• اما بنتاه فتزوجت مريم من صالح عبد القادر عودة وتزوجت نجمة من سعيد عبد الحي عودة •

وبعد مدة من الزمن نزح محمد خطاب وعائلته الى رشميا سعيا وراء الرزق فاقام فيها عدة سنوات واصاب بحبوحة من العيش ثم ارتحل الى قرية ام دفوف القريبة من عين الاساور من قضاء جنين • وكان معروفا في المنطقة بورعه وتقواه •

وقبيل رحيله من رشميا ارسل عبد الحي عودة فاحضر بنته صفاء وزوجها عبد الى الكبابير فاقاما فيها منذ ذلك الحين وكونا نواة عائلة خطاب الموجودة حاليا •

أما محمد خطاب (أبو العبد) وبقية أفراد الاسرة فقد ارتحلوا الى ام دفوف كما جاء ولم يمض عليهم وقت طويل حتى اصيبوا بوباء قضى على معظم افراد العائلة وقد نجى ابنه الثاني علي الذي عاد الى رشميا مع ابنه داود وبنته امنة بعد ان توفيت زوجته خديجة وأبنه حسن مع من توفوا من العائلة • وفي رشميا تزوج علي من عفيفه شنبر كزوجة ثانية ورزق منها نجمة وتمام

وقد توفي العبد في الكبابير وتوفي علي برشميا ودفنا في مقبرة القرية •

٢ــ عائلة سرور

تأسست هذه العائلة بمجيء المرحوم موسى زيد سرور الى الكبابير في اواخر القرن الماضي ايضا وكان فارا من الخدمة العسكرية ، وهو كذلك من اقرباء عودة في نعلين بدأ عمله في قرية المزار التابعة لعائلة الماضي من اجزم• ثم استقر في الكبابير وتزوج من سيدة تدعى حلوة من قرية جبع رزق منها ولدان هما محمد ونايف وبنت اسمها صديقة • وبعد وفاتها تزوج من هاجر خراب من الطيرة لكنها لم تنجب له اولادا •

اما ابنه محمد فتزوج من نفيسة محمد عودة ورزق منها ولدا أسمه عيسى • وبعد أن استشهد محمد في الحرب العالميه الاولى تزوج من نفسيه ابنه الثاني نايف ورزق منها كل من موسى ومحمود وأحمد وأنيسه وجميلة• وأما أبنته صديقة فتزوجت من علي محمد عودة• جميع هؤلاء الاولاد والبنات ما عدا عيسى تزوجوا في الكبابير وبقوا فيها وهم يكونون عائلة سرور اليوم •

وقد توفي موسى زيد سرور في الكبابير وفيها دفن

٣ــ عائلة زيدان

مؤسس هذه العائلة هو المرحوم عبد الله محمد زيدان

من نعلين ومن اقارب عودة ايضا • قدم الى الكبابير زمن الحرب العالمية الاولى فارا من الجندية ولكن السلطات تمكنت من تجنيده رغم التجائه الى الكبابير •

وقد تزوج من عائشة يوسف عودة ورزق منها محمد وعبد الرحمن وفوزي ومن البنات هدى ووطفا وفاطمة• وكان يتنقل باديء ذي بدء بين نعلين والكبابير حتى بعد زواجه وسكن مدة من الزمن في واد السياح • وفي الثلاثينات استقر نهائيا في الكبابير وقد كون مع ابناءة عائلة زيدان • وكان المرحوم عبد الله زيدان رجلا نشيطا وهو اول من فتح دكانا للتجارة في الكبابير • وقد توفي عبد الله زيدان في الكبابير ودفن في مقبرتها •

٤ــ عائلة شنبور

كان المرحوم محمد احمد شنبور حفيد عودة (من بنته فاطمة) قد تزوج من اسماء محمد حفيدة عودة هي الاخرى (من ابنه محمد) ورزق منها ابن واحد هو نجيب واربع بنات هن منى وغزالة ولطيفة ولطفية •

وقد سكن الكبابير في الثلاثينات من عهد الانتداب البريطاني فاقام من الناحية الشمالية للقرية في براكة حديثة ذات طابقين وكان حتى اخر ايام الانتداب الوحيد من عائلة شنبور ممن سكنوا الكبابير وقد تزوج معظم اولاده في القرية وقد توفي في الكبابير ودفن فيها •

وعند قيام دولة اسرائيل حضر المزيد من ابناء وعائلة شنبور الى الكبابير واستقروا فيها •

٥ــ عائلة القزق

تربط اهل الكبابير بعائلة القزق في حيفا روابط قديمة سيما وكان من ابناء العائلتين اتباع ومريدون في الطريقة الصوفية الشاذلية • ثم توثقت تلك العلاقة بعد ان انضم معظم افراد العائلتين الى الحركة الاحمدية•

وفي اواخر ايام الانتداب البريطاني اشترى السيد ابراهيم علي القزق قطعة من الارض في الكبابير وبنى عليها وسكن مع عائلته • وكان تاجر حبوب مانو فاتورة ومواد غذائية في حيفا وفي اثناء الحرب العالمية الثانية كان معظم اهل الكبابير يتسلمون من مخزنه مخصصات التموين المقننة •

لقد ظل ابراهيم هذا وحده في الكبابير ابان حرب ١٩٤٨ ولم يغادرها بينما كانت زوجته وابنها علي قد هاجرا مع بقية افراد العائلة الى البلاد العربية وقت الحرب • وبعد ان لم يفلح في جمع شمل العائلة تزوج ثانية من مريم قوصيني ورزق منها ولدان وثلاث بنات ومنهم تتالف عائلة القزق •

٦ــ عائلة صوداح

مؤسس هذه العائلة هو السيد فياض صوداح من

مواليد رفيديا قضاء نابلس وصديق قديم لاهل الكبابير • يعمل في دير الالمان ــ الهوسبيس ــ منذ اوائل عهد الانتداب البريطاني •

وكان المسيحي الاول الذي تملك في الكبابير حتى قيام دولة اسرائيل • فقد اشترى قطعة من الارض في طرف القرية الغربي وبنى عليها في اواخر الاربعينات لكنه لم يتمكن من اتمام البناء بسبب اندلاع حرب١٩٤٨ وبعد انتهاء الحرب اتم بناء البيت فسكن مع اولاده صالح ومشيل ثم شارلي وبطرس • جميعهم متزوجون ولهم أولاد ويؤلفون عائلة سوداح في الكبابير •

هذه هي العائلات الاخرى التي كانت تسكن الكبابير حتى اخر ايام الانتداب البريطاني بالاضافة الى عائلة عودة ، وقد كانت نسبة عد أفراد هذه العائلات تقارب العشرة بالمئة من مجموع أهل القرية •

وبالاضافة الى اهالي الكبابير فقد كان يسكن القرية ايام الانتداب بالايجار عدد من العائلات من بلدان مختلفة ولكن جميع هؤلاء نزحوا عن القرية قبيل اندلاع الحرب بين العرب واليهود •

ومع انتهاء حرب ١٩٤٨ وبعد الجلاء عن قرية الطيرة قدم الى الكبابير عدد من عائلاتها من حملة الباشية كعائلة شنبور وعائلة قوصيني وعائلة الباش (كرير) وعائلة عواد •

المواقع

«وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون»

(قرآن كريم)

هناك اماكن ومواقع عديدة حول القرية كانت لها اهميتها كعلامات ومؤشرات اعتمد عليها الناس في تحديد وتعيين اتجاهاتهم وتحركاتهم في حياتهم اليومية • وكانت اكثر هذه العلامات مواقع طبيعية كالاودية والسهول والجبال والينابيع وغيرها • ومن هذه المواقع ما دون على خرائط قديمة أو في كتب تاريخية باسمائها التقليدية القديمة • وقد رايت حاجة لتقديم قائمة باسماء هذه المواقع المحيطة بارض الكبابير حسبما كانت معروفة قديما •

الينابيع

نبع السياح ــ في واد السياح •

العيون

عين ام الفرج ــ واد السياح ، عين ريشة ــ واد ريشة تحت احوزة ، عين عبد الله ، عين الطيرة ــ السيرة عين العليق ــ رشميا ، عين الصوانية ــ رشميا ، عين الدالية أو عين أبو سعيد ــ رشميا عين الجويث ــ

شرقي رشميا ، عين السعادة ــ شرقي حيفا ، عين الشلاله تحت بيت اورن • عين الحايك ــ غربي عسفيا ، العين البيضاء ــ غربي عسفيا ، عين ابو ظاهر ــ جنوب الجامعة

الابار

بير بثينة ــ في الساحل ، بير الكنيسة ــ الساحل الجنوبي • بير التل ــ في تل السمك الساحل الشمالي ، الروستريه ــ الساحل الجنوبي بير رشميا ــ في رشميا •

الوديان

واد السياح ــ جنوب الكبابير ، واد التتر ــ شمال الكبابير، واد العميق ــ شمال واد التتر، واد ابو الريش شمال واد العميق ، واد الجمال ــ غربي مار الياس ، واد كفر السامر ــ جنوب واد السياح ، واد ريشة ــ جنوب واد كفر السامر ، ثم واد عمرو جنوبا ، ثم واد فلاح ــ جنوب الطيرة ، واد رشميا ــ رشميا ، واد جرانة العسل شرقي مركز الكرمل •

الشعاب (اشاليل)

مفرده شعب او اشلول : الشعب ــ جنوب الكبابير شلول الحياة ــ غربي اسكندر ، شلول النزازة ــ غرب شمال الكبابير • شلول القصبا ــ شمال الكبابير • شلول

الخنزير ــ راس واد التتر ، شلول الزرزروق ــ رشميا شلول الصوانية ــ رشميا •

الجبال

جبل اسكندر ــ جنوب الكبابير كرمليا ، الوسطاني شمال الكبابير الكرمل الغربي ، ابو سويد رشميا، دبة سنامة ــ رشميا • أبو مدور رشميا ، تل السمك ــ الساحل الشمالي •

السهول

العتريسية ــ الساحل ، جورة الحمام ــ في الساحل جنوبا ، جورة السياح ــ في الساحل غربا ، جورة الحداد ــ في الساحل شمالا ارض ابو حسان ــ في الساحل • ارض أبو شواهين ــ في الساحل • مارس رضوان ــ في الساحل ، ارض كرير ــ في الساحل ، مارس عقول ــ الساحل ، ارض العمايا ــ في الساحل الوطا التحتا ــ الساحل غربا ، الوطا الشمالية في الساحل شمالا ، ارض المقالع ــ في الساحل ، ارض عبد الحفيظ ذراع الشقراوي • التجديدة ــ غربي السياح • ربعان علي زين •

الخلايل

او الخلات جمع خلة ــ ارض مستوية مرتفعة :

خلة مصطفى المحمود ــ تحت الوسطاني ، وخلة علي الزيدان ــ تحت الوسطاني ويطلق على كليهما الخلايل ، خلايل الصعبة ــ جنوب كفر اسمير ، خلة السرج ــ ، جنوب ستلامارس ، خلة الشيخ ــ شرقي عين الصوانة خلة السمسم ــ رشميا، خلة الشعار ــ فوق واد عبد الله • خلة ريان ــ شرقي احوزة •

الهضاب

(فروش) ج فرش عادة فوق الجبال : فرش الحلقة النبي شعنان ، فرش ابو الندا ارض الجامعة ، فرش عياد ــ رشميا الشمالية ، فرش ابو سكران ــ ارض مستشفى الكرمل • فرش الصابله ــ فوق واد أبو الريش الفرش الغربي ــ غربي الكبابير ، فرش الوسطاني ــ الكرمل الغربي ، فرش كلر اخر شدروت هاتسفي اليوم، فرش دار البحيري ــ جنوب احوزة ، فرش اسكندر ــ كرمليا اليوم • الفرش الشرقي ــ شرقي الكبابير •

الكهوف والعرقان

عراق أبو حمدة ــ شمال الطيرة • عراق الزغان ــ رشميا مغارة التتر ــ شمال الكبابير ، مغارة النزازة ــ غربي الكبابير • مغارات أبو شواهين ــ غربي الكبابير • مغارة حليمة ــ تحت أسكندر • مغارات كفر سمير • مغارة شوحة ــ شمال مدرسة مارلوقا ، مغارة

المضبعة ــ شمال الكبابير ، مغارة واد الجمال ــ واد الجمال ، مغارة ابو داهش في رشميا ، مقلع اسكندر ــ جبل اسكندر •

الطرق والدروب والمسارب

الدرب الفوقا ــ الطيرة حيفا ــ موريا اليوم ،درب العرق ــ الطيرة حيفا من الساحل ، درب ابو شواهين من الكبابير الى نبع الساحل • درب المسارب ــ من السياح الى كفر اسمير ، طريق ابو سكران من الدرب الفوقا أحوزة الى الطيرة • درب الوسطاني ــ طريق البحر ــ جبل الكرمل •

الآرض

«ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش»

(قرآن كريم)

الارض الجبلية التي كانت بحيازة عودة واولاده بعد أن استقروا في الكبابير يحدها من الجنوب واد ألسياح وشارع سفريريم ومن الشمال واد العميق ــ التتر ــ وشارع دافيد بنسكي وشرقا شارع موريا وغربا محني دافيد (انظر الخارطة المرفقة) ،وكانت هذه الارض حتى اواخر العهد العثماني مسجلة في دوائر الطابو ضمن اراضي الطيرة ، بالاضافة الى ذلك تملك ابناء عودة فيما بعد قسما من سفح جبل اسكندر الغربي المسمى بربعان زبن مساحته تقارب ١٢٠ دونما • وكذلك قطعا من الاراضي الزراعية الواقعة في الساحل منها ارض العمايا ارض كرير ، مارس عقول ، مارس رضوان ، العتريسية الوطا التحتا والوطا الشمالية ، ربعان عبد الوهاب وتبلغ مساحتها جميعا حوالي ٣٠٠ دونما •

لقد ظلت الاراضي حتى الاحتلال البريطاني مشاعا بين الاخوة الخمسة مع وجود تقسيم داخلي فكان لكل منهم جزءا من الاراضي الزراعية وكذلك كرما او حاكورة من الاراضي المغروسة حول القرية بالتين والزيتون والعنب وغيره •

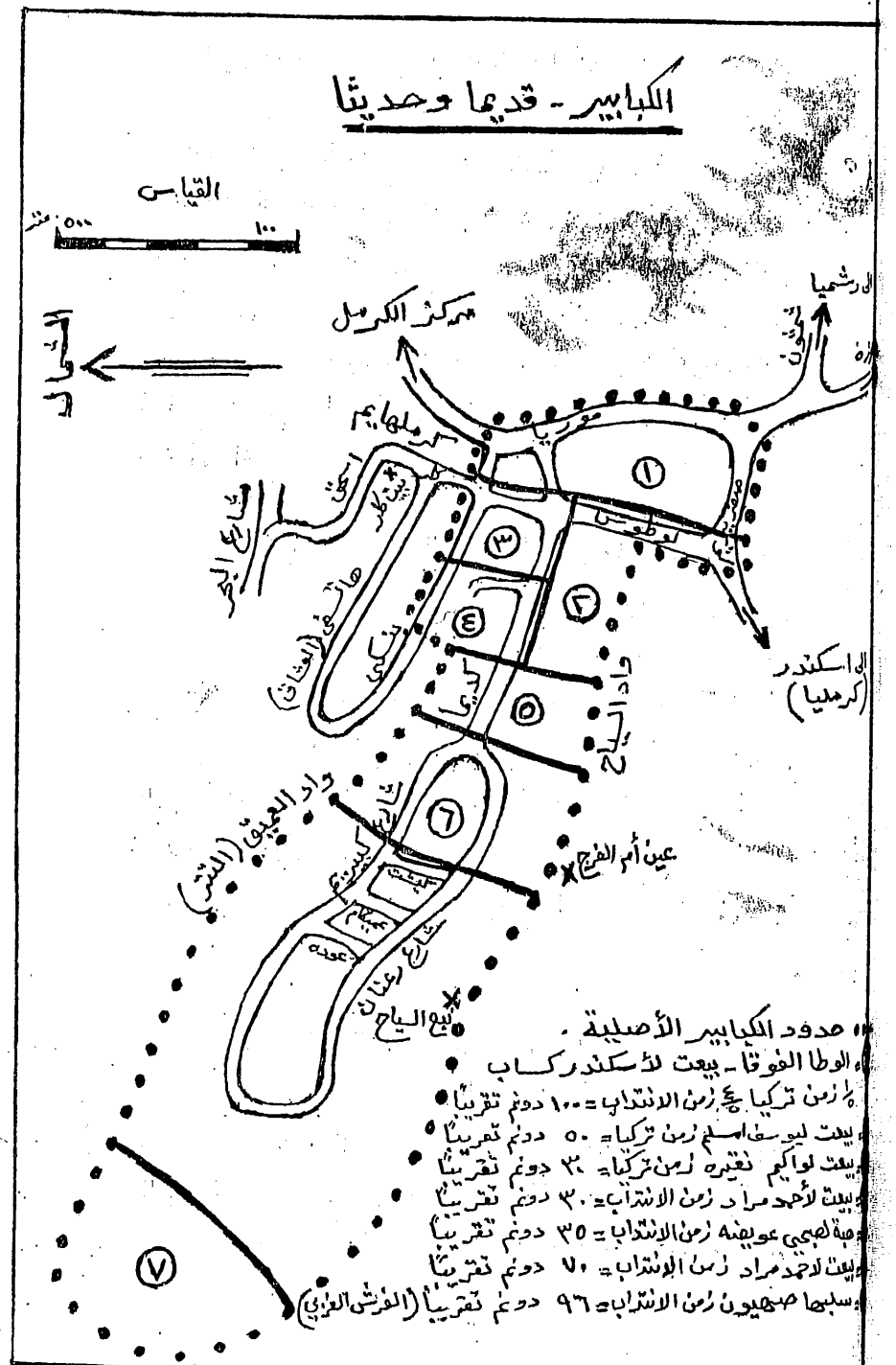

لم يكن احد يطمع في امتلاك الارض زمن الحكم المعثماني ولم تكن الارض بعد موضوعا للتجارة • وقد علمت من شيوخنا ان بعض المسؤولين في حيفا من معارف العائلة أمثال القائمقام نجيب ياسين وسليم الخوري قد عرضوا على اهل الكبابير تسجيل الاراضي على أسمهم سواء على الكرمل او في هدار هكرمل على ان يدفعوا فقط رسوم التسجيل ولكن لسوء حظنا لم يكن لديهم المال الكافي للقيام بذلك العمل كما ولم يشعروا بحاجة الى تلك الاراضي •

وعند نشوب الحرب العالمية الاولى وفي سفر برليك اضر باهل القرية جوع شديد سيما وقد جند جميع شبانهم للخدمة العسكرية فاضطروا ان يبيعوا قطعة من الارض تبلغ مساحتها حوال ٥٠ دونمالاحد الاثرياء يدعى يوسف اسلم لاجل توفير الغذاء اللازم وهي القطعة المشار اليها برقم ٢ على الخارطة المرفقة • ثم قطعة ثانية لشخص مسيحي أسمه وكيم نقيرة لنفس الغرض تقارب الثلاثين دونما وهي القطعة المشار اليها على الخارطة برقم ٣ •

وفي اثناء تلك الحرب اضطر عبد الحي عودة انيبيع حصته الخمس في الارض الفوقا المشار اليها برقم ١ بعد ان ساءت حالته الاقتصادية وجندت الحكومة ابناءه الاربعة ، وذلك لاجل ان يدفع بدلا للحكومة — فدية — لتحرير احدهم من الخدمة العسكرية • وكان المشتري

يدعى اسكندر كساب احد وجهاء حيفا المسيحيين • وما كادت تنتهي الحرب حتى اخذ هذا المشتري يضايق الاخوة الباقين كونه شريكا في ارض لا تزال مشاعا • واستمر هذا النزاع حتى اضطرهم الى بيعه البقية المتبقية من تلك الارض التي تقارب مساحتها المئة دونما •

وبعد ان استقر حكم الانتداب بدأت حمى بيع الاراضي فخشي الاخوة الاربعة الباقون على ارضهم التي ما زالت بعد مشاعا وغير مسجلة في الطابو ، ما عدا اربعين دونما هي مركز القرية المعمرة • فتوجهوا في العشرينات الى مفتي حيفا الشيخ محمد مراد الذي كانت تربطه معهم علاقة طيبة وطلبوا مساعدته في الامر فاوعز هذا المفتي الى اخيه احمد مراد ان يعمل على تسجيل الارض • وبهذه العملية سجلت اراضي الكبابير على اسماء الاخوة الخمسة الا انها داخليا ظلت مشاعا بينهم لكن هذه العملية كلفتهم غاليا • فقد باعوا اولا لاحمد مراد قطعة الارض رقم ٤ تبلغ مساحتها حوال ٣٠ دونما بسعر رمزي نظرا لمساعدته لهم في التسجيل والتي اصبحت فيما بعد تعرف بارض احمد مراد • ثم لاجل تتميم معاملة الطابو قدم الاخوة جزءا من الارض هو القطعة رقم ٥ ومساحتها حوال ٣٥ دونما هبة (بخشيش) لمأمور الطابو انذاك صبحي عويضة (والذي طرد من الوظيفة في وقت لاحق لكثرة سرقته الاراضي) واخيرا لاجل دفع رسوم الطابو ومصاريف المعاملة بيعت

القطعة رقم ٦ على الخارطة والبالغ مساحتها حوال ٧٠ دونما بسعر خمس ليرات للدونم وكان المشتري هنا ايضا احمد مراد نفسه والذي باعها بدوره لعزيز الخياط من حيفا •

وما كاد اهل القرية يفرغون من عملية التسجيل هذه ويتنفسون الصعداء حتى تبين لهم ان طرف الجبل الغربي (الفرش الغربي) رقم ٧ لم يسجل على اسماء ابناء عودة بل سجل على اسم احد وجهاء حيفا يدعى صهيون وظهر ان هذا قد اختلس الارض بمساعدة مامور الطابو صبحي عويضة نفسه والقاضي جميل حبيبي من شفاعمرو ويوسف امسلم فنشأ نزاع مرير مع صهيون ظل على مدى سني الانتداب وكان اهل القرية يحاولون بكل وسيلة تثبيت ملكيتهم كحرثهم للارض وزرعها بالشعير وغير ذلك ولكن بدون جدوى• وتبلغ مساحة هذه الارض حوال ٩٦ دونما ولا يزال اهل القرية يذكرون ذلك الحادث بألم ومرارة •

كذلك فقد خسر اهل القرية جزءا من ارضهم الواقعة على سفح جبل اسكندر (كرمليا) تبلغ مساحتها حوال ٣٠ دونما وتفصيل ذلك ان اهل الطيرة عندما باعوا جبل اسكندر شمل البيع جزءا من ارض الكبابير فبقي لهم ٩٠ دونما من اصل ١٢٠ دونما • ولم تجد اعتراضاتهم شيئا وقد باعوا فيما بعد ما تبقى من تلك الارض لتسديد ضرائب ودفع التزامات مختلفة اخرى على القرية•

واما الاراضي الزراعية الواقعة على الساحل فقد استولى الجيش البريطاني على معظمها وصادرها لاغراض عسكرية ، وبني عليها معسكرات لا تزال قائمة حتى اليوم ثم جاءت بلدية حيفا فصادرت جزءا اخر بعد قيام دولة اسرائيل لاغراض عامة كاقامة مدينة الشبيبة ولم يبق شيء يستحق الذكر من هذه الاراضي •

وفي سنة ١٩٣٦ شرع اهل القرية بتقسيم وافراز الارض المتبقية والتي ما زالت مشاعا بين العائلات الخمسة وحيث ان الكبابير قد ادخلت ضمن مسطح بلدية حيفا منذ ١٩٣٤ فقد خططت المنطقة حسب تنظيم المدينة ورسمت فيها الشوارع وقسمت الاراضي الى قسائم بناء تبلغ مساحة كل قسيمة حوال الدونم الواحد وقسائم اخرى اعدت للحدائق العامة وغيرها مما يتطلبه التنظيم المدني وبعد ان تمت عملية الافراز وزعت القسائم على العائلات الخمسة سنة ١٩٤٠ بطريقة القرعة فكان نصيب كل عائلة ٣٥ قسيمة بناء • وقد اقتطعت بلدية حيفا مساحة ١٥٠ دونما للشوارع وحوال ١٢ دونما للمنتزهات العامة • وفي سنة ١٩٤٨ وقبيل انتهاء الانتداب البريطاني بايام معدودة تسلم اهل الكبابير شهادات ألتسجيل (ألكواشين) لاراضيهم•

وهكذا فبعد ان كان بحيازة القرية ايام الدولة العثمانية حوال ٩٠٠ دونم من الارض الجبلية بقي لديهم عند التسجيل الاخير والافراز حوال ٣٥٠ دونما منها ١٧٥ دونما فقط ملكا لاهل القرية يحق لهم استغلالها لاغراض البناء •

النزعة الدينية

«الذين ان مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة»

« قرآن كريم »

لقد اتسمت حياة عودة وابناءه الخمسة بحبهم للدين وتقربهم الى الله وقد تبعهم في ذلك ابناءهم من بعدهم • ولا زالت الكبابير حتى اليوم تعرف بالقرية المتدينة اذا ما قيست بباقي القرى والمدن في فلسطين •

فقد بادروا وهم ما يزالوا يعدون على الاصابع بانشاء الزاوية ليعبدوا الله ويأدوا فيها شعائرهم الدينية وقد بنوها مع اول ما بنوا من بيوتهم وكانوا يؤذنون ويقيمون فيها الصلاة وهم ما زالوا بعد خمسة اخوة •

ان حبهم هذا للدين هو الذي دفعهم للانضمام الى ثلاث حركات صوفية قبل ان تكلل هذا الحب بقبولهم دعوة المهدي فكانت الكبابير اول قرية فلسطينية انضمت الى الاحمدية واخذت منذ ذلك الحين لقب القرية الاحمدية في البلاد •

لقد تعرف الابناء الخمسة على طريقة الخراساني وكان شيخ هذة الطريقة يعقد لقاءاته مع مريديه احيانا في الطيرة المجاورة وكان عبد الله عودة احد مريديه المشغوفين بحبه الى حد انه كان ينظم فيه الاشعار وقد كان الاخوة جميعا اتباع هذه الطريقة وكان شيخ الطريقة

يزور الكبابير في بعض المناسبات ويعقد اللقاءات في الزاوية •

وفي زمن لاحق شاعت في البلاد الطريقة النقشبندية وكان شيخها يدعى ابو العزائم فانضم اليها الاحفاد وكانوا يقيمون الذكر في الزاوية على الطريقة النقشبندية ولا زال يذكر بعض شيوخ القرية ذلك الذكر ومدى الحماس والحرارة الذين كان يتسم بهما الى حد كان البعض يصاب بالتشنج من شدة الحركة والحماس •

وفي اوائل الانتداب البريطاني وفي العشرينات من هذا القرن تعرف اهل الكبابير بواسطة اصدقائهم من عائلة القزق بحيفا على الطريقة الشاذلية وكان مقرها الرئيسي بعكا ولها زاوية فرعية بحيفا • وكانوا يترددون على الزاوية بحيفا واحيانا على زاوية عكا المركزية • لكن انضمامهم الى هذه الطريقة لم يكن شاملا وظل قسم من العائلة خارج هذة الطريقة •

وعندما وصلت الدعوة الاحمدية الى الكبابير سنة ١٩٢٩ كان المبادرون الى قبولها اتباع الطريقة الشاذلية

ومن الاشياء التي تروى عن عودة وابناءه الدالة على تعلقهم بالدين ما يلي :

يروى عن عبد الحي انه كان يذهب مبكرا الى ناحية القرية الشرقية يرقب طلوع الفجر ليعود بعدها

فيؤذن للصلاة كما يروى عن أخيه عبد القادر أنه بعد عودته من الخدمة العسكرية لم يطلع عليه فجر وهو نائم وكان من عادته هو الاخر التجول في القرية ليوقظ الناس للصلاة • ومن طرائف ما كان يحدث بينهما أن كان عبد القادر عندما يسمع اقدام اخيه عبد الحي عائدا الى الزاوية يهرول فيسبقه للاذان فكانت تحدث بينهما مشادة كلامية لطيفة باعتبار ان عبد الحي هو الذي جاء بخبر الفجر وهو احق بالاذان • وكان من بين الاخوة الخمسة ثلاثة يؤذنون للصلاة هم عبد الحي وعبد القادر وعبد الله •

كذلك يروى ان الشيخ عبد الله عودة رأى يوما ان المهدي قد ظهر وحضر الى قرية الكبابير ونصب خيمته قرب بيادر القرية في ناحيتها الغربية• وقد تحققت هذه الرؤيا فيما بعد بأن دخلت دعوة المهدي الكبابير وبنت جماعته مسجدا في المكا نالذي رأى فيه المهدي ينصب خيمته • الامر الذي أن دل على شيء فانما يدل على طهارة القلب وصفاء النفس •

ومعروف عن زوجة عودة المرحومة صفية حبها وتعلقها بالدين فقد كانت تردد وردا خاصا بها نصه كالاتي :

« اللهم صل على النبي الف وميي من صفية على النبي هدية »

ثم أن أكبر دليل على حب عودة واولادة للدين أرسال أحد الاخوة الدخمسة الى الازهر لتعلم الدين وقد تمكن هذا الاخ وهو عبد الله ان يدرس العلوم الدينية ثلاث سنين الى ان اضطرت العائلة لدعوته بعد ان تجند اخوته للخدمة العسكرية وقد اصبح عبد الله فيما بعد شيخا معروفا له مكانته واحترامه في المنطقة •

لقد ظل الاخوة الخمسة ثم ابناءهم من بعدهم ينزلون الى حيفا مشيا على الاقدام لتأدية صلاة الجمعة لاعتقادهم وقتها ان صلاة الجمعة لا تجوز الا باربعين مصل كما كان شائعا وقد ظلوا على هذا الحال الى ان جاءت الاحمدية وافتت بأن صلاة الجمعة تجوز بأقل من اربعين •

لقد مكن الله لعبد القادر واخيه يوسف ان يؤديا معا فريضة الحج وأما باقي الاخوة فلم تسنح لهم الفرصة اذلك •

عودة المضياف

«ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا »

(قرآن كريم)

تولت رعاية عودة بعد وفاة والديه كما جاء المرحومة عمته ندا في المزرعة وكانت امرأة فاضلة كريمة تتحلى بالمروءة وكرم النفس كذا يروى عنها وهكذا كانت اسما ومسمى •

ولكي تجعل من ابن اخيها ذلك الرجل الكريم المضياف فانها لم تبخل عليه يوما بشيء وكانت تعطيه كما يروى عنها كلما يطلب بل وفوق ما يطلب فكبر وكان كل شيء متيسر له وطوع ارادته • ولكي تربي فيه خصلة الجود والكرم كانت ترسله في المساء الى مضافة القرية ولم يزل بعد يافعا وتوصيه ان اذا حضر ضيف كريم يتقدم ويقول خلف الله على المعزب (المضيف) عشاء الضيف غدا عندنا • وعندما كان يعود الى عمته ويخبرها بقدوم ضيف تقوم هي بدورها بالسؤال عن ذلك الضيف ومكانته وتبعا لذلك تهيء العشاء على حسب قدره ثم تدعو بعض وجهاء القرية لتناول الطعام مع الضيف • وهكذا كسب عودة وهو لم يزل حديث السن تقدير واحترام الكبار وصار الكل يرحب به عندما يحضر الى المضافة على غير ما كان عليه أترابه من شباب القرية •

وبعد ان استقر المقام في الكبابير كانت الزاوية نزل الاضياف مفتوحة ليل نهار امام كل من تطأ قدماه أرض الكبابير من القرى والبلدان المجاورة ألفقير منهم والغني لا ترد أحدا •

وقد حافظ الاخوة الخمسة على تقليد والدهم بعد وفاته فكانوا يتناوبون تقديم واجبات الضيافة المطلوبة للزاوية يوما بيوم واستمروا على هذا النهج حتى أوائل الثلاثينات • ومن دلائل حرصهم على متابعة سيرة ابيهم واعطائهم اكرام الضيف اهمية خاصة تكليفهم اخاهم الاكبر بتولي هذا الامر كجزء من الاعمال الضرورية والتي قسموها بينهم • وقد قام اخوهم عبد الحي بهذا الواجب خير قيام ويقال انه تعلم عن ابيه ايضا نظم الشعر والعزف على الربابة • وكان يتردد على مجلسه وجهاء حيفا فيأنسون بمحضره ويجدون فيه الرجل المضياف الكريم الاخلاق • وقد روى لي حفيدة المرحوم الحاج احمد عبد القادر عودة انه عندما كان يدعى للخدمة العسكرية كانت تجتمع حوله الضباط لسماع انغام ربابته وكان يحفظ عنه الكثير من اشعاره تمكنت من معرفة بيتين كان ابنه السيد محمود احمد لا يزال يحفظها وهي كالاتي :

ايا من في هواهم علقوني
وفي جنح الليالي ارقوني

الى اين التجائي طال هجري
الا يا سادتي ما ترحموني

وقد روى لي والدي ان جده عبد الحي كان يوصيه دائما وهو لم يزل بعد في العاشرة من عمره بان يبني له في كل بلد بيتا فكان والدي يستغرب من ذلك الطلب فيوضح له جده ويقول بل أجعل لك في كل بلد صديقا مخلصا • ومرت الايام واندلعت الحرب العظمى الاولى وبدأ سفربرليك فاصاب الناس جوع وفقر فارسله جده عبد الحي وكان قد طعن في السن مع جدته حواء على دابة الى بعض معارفه في قرى الساحل لشراء ألذرة البيضاء ليصنعوا منها الخبز • فتجولا من قرية الى أخرى حتى وصلا الطنطورة ويقول والدي أن الذي لفت انتباهه أكرام ألناس لهما واهتمامهم بامرهما حين عرفوا أنهما قادمان من طرف عبد الحي ثم يقول والدي وهنا تذكرت نصيحة جدي ولمست معناها ومنذ ذلك الحين طبعت على صفحات قلبي •

وقد روى لي المرحوم الحاج احمد عن اناس من عرابة البطوف نزلوا ضيوفا على ابناء عودة في الزاوية ولحسن الطالع كانوا قد ذبحوا في ذلك اليوم ذبيحة للعائلة • وفي المساء احضر للضيوف عشاء من اللحم فاستغرب الضيوف وقالوا كيف علمتم بمجيئنا حتى ذبحتم لنا وطبختم بهذه السرعة فرد عليهم المضيفون بان ذاك كان طعام العائلة في ذلك اليوم • فقالوا بارك

الله في هذه العائلة • ولما اصبح الصباح وجدوا المخالي في اعناق خيولهم لا يزال الشعير فيها (المخلاة كيس يعلق في عنق الفرس فيها اكلها) فزاد ذلك من دهشة الضيوف وتقديرهم لمضيفيهم وانصرفوا حامدين شاكرين ثم نزل هؤلاء الضيوف بعدها على أهل عين غزال وهناك طلبوا الطعام فقال لهم أهل عين غزال ما بالكم تطلبون الطعام أم قد جئتم من مكان قفر ؟ فضحكوا وقالوا لهم لا والله لقد كنا في ضيافة كرام اجاويد وقصوا عليهم القصة •

وقد روى لي حفيد عودة المرحوم الحاج طيب انه حدث ان تم في قرية الطيرة مرة سبعة اعراس خلال ايام معدودة قبل الحرب العالمية الاولى فما كان من عائلة عودة الا ان ارسلوا لكل عرس ذبيحته •

العلم والتعليم

« وقل رب زدني علما »
« قرآن كريم »

خلال ايام الحكم العثماني وحتى العشرينات من الحكم البريطاني كان المرحوم الشيخ عبد الله عودة هو المرشد والمعلم ليس فقط لابناء هذه القرية بل لابناء القرى المجاورة • لقد كان من أهداف تلقيه العلم في الازهر ان يكون في القرية من يقوم بدور تعليم الناشئة فكان الشيخ عبد الله يقوم بهذا الواجب المقدس •وحيث لم يكن أنذاك الكثيرون ممن يعرفون القراءة والكتابة كان الشيخ عبد الله يدعى احيانا الى قرى المنطقة ليعلم أبناءها القراءة والكتابة ، ولا يزال أحد تلاميذه الشيخ محمد عبد الغني أبو الهيجاء من عين حوض حيا يشهد على ذلك •

والى ان فتحت المدرسة الاحمدية سنة ١٩٣٤ بواسطة المبشر الاسلامي الاحمدي ابي العطاء الجالندهري ظل أبناء القرية يتلقون تعليمهم في الزاوية على يد الشيخ عبد الله وفي مغارة التنر احيانا اخرى على يد الحاج محمد المغربي • واذكر اني رافقت اخا لي مرة الى هذه المغارة ورأيت الحاج يجلس على فرشة من الشوك والقش في ناحيتها الشرقية وبيده العصا يقرأ القرآن والاولاد من حوله يرددون ، الى ان يحفظوا عن ظهر قلب وكانوا يكتبون بالحبر المصنوع من سواد

القدور (الشحبار) المذوب بالماء وبريشة من القصب •

ومع مجيء الاحمدية الى الكبابير حدث انقلاب في مجال العلم والتعليم وشع على القرية نور جديد • فقد أنشأت المدرسة الاحمدية بقسميها قسم للبنين وقسم للبنات وأخذ يتوافد على الكبابير معلمون ومدرسون من كل ناحية وصوب • أذكر من هؤلاء الاساتذة الكرام الحاج عبد اللاله العراقي من بغداد الشيخ مصطفى حسين محامد من أم الفحم الذي كان على العموم مخصصا للبنات ، ثم الشيخ سليم الرباني من الطيرة فالاستاذ محمد سعيد بختولي من مصر وخريج جامعة الازهر ثم شيخ الاساتذة الاستاذ المحامي منير الحصني من دمشق خريج جامعة برلين والذي في زمنه ازدهرت المدرسة الاحمدية وبلغت اوج عزها • كما وان السيد محمد صالح عودة كان يؤدي بعض الحصص في الحالات الاضطرارية وعلى رأس هؤلاء جميعا الموجه الاعلى والمرشد الروحي حضرة المبشر الكريم• وكان للمدرسة الاحمدية لباس خاص ، بدلة بيضاء مقلمة وطربوش على الراس •

ومع اندلاع الحرب العظمى الثانية اخذت تفتقر المدرسة الى معلمين وكانت تتعثر احيانا بسبب ذلك لكن المبشر ظل يعطيها من وقته وطاقاته رغم الظروف القاسية التي كانت تمر بها خاصة لعدم وجود غرف التدريس المناسبة وظل مستواها زمن الانتداب من اعلى المستويات وكدليل على ذلك انتقلت في اواخر الثلاثينات مع الاخ موسى نايف سرور الى مدرسة الكاثوليك بحيفا لنواصل

تعليمنا بعد ان توقف التعليم في المدرسة الاحمدية لاسباب الحرب على ما اعتقد وكنت في الصف الثالث وهو في الرابع وكنا ننزل الى حيفا ونعود مشيا على الاقدام • وقد حدث (ولا فخر) ان حصل كل منا على الدرجة الاولى في صفه وما الفضل في ذلك الا للمدرسة الاحمدية التي اسستنا الاساس ألمتين • هكذا كانت ألمدرسة ألاحمدية وهذا كان عطاءها لابناء القرية •

الخدمة العسكرية

«يا أيها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتا او أنفروا جميعا»

((قرآن كريم))

حب الوطن من الايمان والذود عن حياضة واجب مقدس والموت في سبيله ودفاعا عنه شهادة •

لقد كانت الخدمة العسكرية ابان الحكم العثماني الزامية يطلب اليها كل من بلغ العشرين من العمر• وكان امد الخدمة الفعلية سنتين ونصف ، بعدها خدمة الاحتياط (الرديف) يطلب اليها حتى ابناء الاربعين وفي الحالات الاضطرارية •

ومنذ اواخر القرن الماضي اخذت الامبراطورية العثمانية تضمحل وتضعف امام نهضة الدول الغربية وانتشار الاستعمار حتى صارت تلقب تركيا برجل اوروبا المريض • وعلى ضوء ذلك لم تكن الخدمة العسكرية من الامور السهلة بل كان فيها الكثير من المعاناة وتحمل المشاق والتعرض للضيق والحرمان وبالنسبة للعرب فقد زادت معاملة الاتراك لهم سوءا بعد ان بدأ الشريف حسين من مكة بالتفاوض مع الانجليز ومحاربة العرب في صفوفهم ضد الاتراك •

لقد ادى ابناء القرية الخدمة العسكرية زمن الحكم العثماني حتى نهاية الحرب بل وكان منهم من قاوم الانجليز اثناء هجومهم على حيفا التي كانت اخر واقوى نقطة مقاومة للعثمانيين في فلسطين • لقد ادوا واجبهم الوطني هذا على مرحلتين الاولى زمن الابناء • فكان اول من تجند من الاخوة الخمسة عبد الحي وقد طلب الى الخدمة قبيل مغادرتهم نعلين ضمن تعبئة عامة للحرب ضد روسيا في الخمسينات من القرن الماضي هي حرب القرم ثم جاء لزيارة اهله بعد ان وصلوا الطيرة في طريقهم الى الكبابير • وبعد ان استقرت العائلة في الكبابير كبر اخواه يوسف وعبد القادر فطلبا للخدمة الفعلية وخرج هو كذلك معهما رديفا وكان ذلك في الستينات وفي عهد السلطان عبد العزيز • وحدث مرة ان تأخر عبد الحي واخوه عبد القادر مدة ثلاث سنين دون ان يحضرا لزيارة الاهل الذين اضاعوا الامل في عودتهما •

وكان رجال السلطة يحضرون الى الكبابير احيانا بحثا عن الفارين من الجندية وبصحبتهم معرفون من نعلين • وحدث ان دل احد هؤلاء المعرفين على يوسف عودة وكان يومها فارا من الجندية فالقي القبض عليه واخذ حتى اسطنبول وفيها خدم تسع سنين متوالية لكنه رجع وهو يتقن اللغة التركية حتى كان يعرف في هذه الناحية كأحد الذين يجيدون هذا اللسان • وفي غيابه الطويل هذا تزوج أخواه عبد الحي وعبد القادر ولكنهما ما

كادا ينهيان شهر العسل حتى جندتهما السلطات للخدمة ثانية فلم يبق الا اخاهم الصغير محمد وهنا ارسلوا الى اخيهم الخامس عبد الله الذي كان يتعلم في الازهر ليحضر في الحال الى العائلة • ويقال انه لحق بهما ولم يزالا بعد في عكا وهناك ودعهما ورجع •

هذه هي الخدمة العسكرية في المرحلة الاولى تمت في القرن الماضي وفي عهد الابناء واشترك فيها الاخوة الثلاثة عبد الحي ويوسف وعبد القادر وعادوا الى اهلهم جميعا سالمين •

بعدها جاءت فترة هدوء استمرت حتى اوائل القرن العشرين عندما جاء دور الاحفاد للخدمة العسكرية • كان اول من طلب للجندية عودة عبد الحي قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى وقد استشهد في ادرنه من بلاد السلانيك •

وعند نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ كان معظم الاحفاد في سن الجندية • فقامت السلطات بتعبئة لم يسبق لها مثيل بحيث لم تكتف بمن هم في سن الجندية القانوني بل جندت حتى من كانوا دونها في سن السادسة عشرة • وهكذا جندت الحكومة جميع رجال القرية القادرين على حمل السلاح ولم يبق للعمل سوى الشيوخ والنساء والاطفال وكان والدي اكبر هؤلاء الاطفال سنا انذاك وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة •

هذه التعبئة هي التي درج الناس على تسميتها بتعبئة

سفربرليك فيها نقلت الحكومة الجنود العرب من هذه البلاد برا حتى الاناضول ويقال مشيا على الاقدام تعذيبا لهم • وكانوا يتهمونهم بخيانة الدولة أثر تحالف الشريف حسين مع الانجليز وصارت كلمة ــ (بيست عرب) يعني عربي قذر الكلمة الدارجة على السنة الاتراك • وتروى قصص وروايات عجيبة عن سفر برليك هذا فقد تركت البلاد اثناءه خرابا يفتك باهلها الجوع والمرض وكان الناس يأكلون الحشائش ، ومحفوظ من يحصل على رغيف ذرة (كردوش) يغمسه بقليل من الزعتر او على قليل من الجلبانة المسلوقة • ثم لحسن الحظ أجتاح الجراد البلاد في ذلك الوقت العصيب وزاد ألحالة سوءا بان اكل المزروعات والاشجار وقضى على الاخضر واليابس واضطر كثيرون أن يبيعوا من أملاكهم لتأمين الغذاء ، وفعل ذلك الكثيرون من اهل حيفا ومن الكبابير كذلك• وفتكت الامراض بالناس فتكا ذريعا وكثرت الوفيات وكان النساء يقمن بدفن الموتى• وقد مرت على القرية وقتها ظروف عصيبة قاسية لم تعرف لها مثيل من قبل •

في هذه الحرب خرج في دفعة واحدة كل من ابراهيم عبد الحي عودة ومحمود عبد الله عودة ومحمد موسى سرور واستشهد ثلاثتهم دون أن يعقب منهم أحد •

ثم خرج من أبناء عبد الحي بالاضافة الى عودة وأبراهيم من تبقى منهم وهما سعيد وطيب ولكنهما عادا بعد الحرب سالمين •

ومن ابناء عبد القادر خرج صالح واحمد وحسن وحسين ورجعوا جميعا سالمين •

ومن ابناء عبد الله خرج بالاضافة الى محمود اخوه عباس وعاد سالما • اما محمد فكان صغير السن ولم يطلب للخدمة •

ومن ابناء محمد خرج علي فقط وعاد سالما • ولم يطلب مصطفى وعبد المالك لصغر سنهما •

وهكذا فكانت حصيلة الخدمة العسكرية في هذه المرحلة ان استشهد اربعة من ابناء الكبابير اي ما يعادل ثلث عدد شبان القرية ممن كانوا في سن الخدمة العسكرية وهم عودة عبد الحي واخوه ابراهيم عبد الحي ثم محمود عبد الله ومحمد موسى رحمهم الله جميعا •

وقد كان ممكنا ايام العهد العثماني تحرير احد من الجندية مقابل دفع بدل عنه للحكومة وقد فعل ذلك اهل الكبابير احيانا • لكن الظاهرة البارزة في الخدمة العسكرية وخاصة اثناء الحرب العالمية الاولى هي كثرة فرار الجنود من الخدمة ، ولذلك كما ذكر كانت اسباب ودوافع ملحة •

ومع بداية الحكم البريطاني على فلسطين لم يعد هناك تجنيد اجباري ولكن الحكومة كانت تقبل

المتطوعين من اهل البلاد • ولم يتطوع من العرب اعداد تستحق الذكر بعكس اليهود فانهم انخرطوا في الجيش البريطاني باعداد وافرة وكانت لهم فرقة يهودية خاصة داخل الجيش البريطاني • ومن الكبابير لم يتطوع للجيش سوى شاب واحد في أواخر الحرب العالمية الثانية ولفترة قصيرة تقارب السنتين •

واد السياح

«وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيه من العيون» •

(قرآن كريم).

هو الوادي الواقع جنوب الكبابير على طول حدودها الجنوبية • والاسم سياح وارد في المصادر التاريخية من القرن الثالث عشر للميلاد وقد يعني الزوار او الحجاج الى الارض المقدسة •

في اعلى الوادي عين ام الفرج وفي اسفله نبع السياح وحول عين ام الفرج اثار قديمة كثيرة • قسم منها يرجع تاريخه الى العهد البيزنطي وهو المغارة المحفورة في سفح الجبل مقابل العين ذات طابقين الاول اسطبل للخيول يصعد منه الى طابق ثان يبدو أنه اعد للفرسان • وفي زمن الصليبيين أقيمت حول المكان تحصينات وأقيم سور ضخم لا تزال أثاره قائمة في الناحية الغربية المواجهه لباب ألواد وفيه فتحات للرماة وهو أشبه باسوار عكا من حيث البناء والضخامة • ويظهر بأن من العين كان من الحصون الصليبية التي ظلت قائمة حتى اخر ايام الصليبيين فقد جاء ذكرها في المعاهدة التي جددها قلاون خليفة بيبارس مع مراكز الصليبيين سنة ١٢٨٢ وكانت مدتها عشر سنين

وعشرة اشهر وفيها سمح لهم بالبقاء في كل من عين السياح ومار الياس وقرية المنصورة وقرية عسفيا • (راجع برافر ــ مملكة الصليبيين الجزء الثاني ص ٥١٠ حاشية ٦٨) • لكن الصليبيين طردوا نهائيا من البلاد قبل انتهاء مدة المعاهدة بحيث سقطت عكا في أيار سنة ١٢٩١ وفي ١٥ آب من السنة ذاتها هدمت عتليت آخر معقل تركه الصليبيون في فلسطين • وفي هذة الاثناء هدم مار الياس ومن المرجح أن تكون قد هدمت العين كذلك أنئذ •

ومن المسلم به عند الكرمليين ان مار «البير» وضع نظام الكرمليين البدائي في واد السياح سنة ١٢٠٩ وسمح وقتها للنساك الكرمليين ببناء كنيسة في ذلك المكان هي كنيسة مار «بروكارد» التي اكتشفت اثارها سنة ١٩٥٨ بواسطة الراهب بوجاتي ويطلق الرهبان الكرمليون على هذا المكان أسم «الدير» •

ومن عين ام الفرج هذه كان القدماء يأخذون الماء الى كفر سمير الواقعة وراء الجبل وعلى بعد ٢كم تقريبا الى الجنوب بواسطة اقنية تمر بسفح جبل اسكندر لا تزال بقاياها ظاهرة حتى الآن مبنية من الرمل والكلس ويبلغ عرضها حوالي ٤٠ سم • اما كفر سمير فيقال انها كانت بلدا صليبية وربما متصلة بمنطقة بير بثينة الذي تدل الأثار ان حوله

كانت بلدا قديمة وكانوا يأخذون اليها الماء من نبع السياح بواسطة اقنية كذلك ولا تزال أجزاء من هذه الاقنية ترى قرب الفاخورة • وفي كفر سمير ظلت أثار مبان قديمة كثيرة ومغارات وتجويفات عديدة في الصخور وقد ازيل كثير من هذه الآثار بعد أن انشأت بلدية حيفا في المكان مدينة الشباب •

وفي اثناء الحرب العالمية الاولى سكن هذه العين وفي المغارة الرومية المرحوم علي عساف (فرعون) من اهالي الطيرة زمنا ما ثم انتقل بعدها الى اسفل الوادي قريبا من نبع السياح حيث استقر نهائيا وانشأ بساتين كان يرويها من ماء نبع السياح ولا يزال ابناءه واحفاده مقيمون في ذلك المكان حتى اليوم • وكان علي عساف هذا يتعاطى التداوي ويكتب الحجب وكان صديقا حميما لابناء عودة • ويروى انه عندما توفي عبد الحي جيء بعباءة ليلفوه بها قبل دفنه فاخذها علي عساف وكتب عليها بعض التعويذات والآيات القرآنيه •

وبسبب كثرة الآثار والمغارات حول عين ام الفرج نسج الناس حولها اقاصيص كثيرة وخرافات خيالية من ذلك أن المكان كفري أي يرجع تاريخه الى زمن الكفار وتظهر فيه ارواح خبيثة خاصة في الليل سموها احيانا «بالرصد» واحيانا «بالصلاح» وكانت هذة الاقاصيص وسيلة لترهيب الأطفال وتخويفهم

فكان من يجسر على دخول العين ليلا حتى من الكبار يعد بطل الابطال •

لقد كان ماء هذه العين يستغل قديما لغسل الثياب وحيث لم تكن هي المورد الرئيسي وكان التردد عليها نادرا فقد كان نسوة القرية ينزلن اليها مرة في الاسبوع ليغسلن الثياب ويعدن في المساء بعد أن يجف الغسيل• وكن يضربن الثياب بالحجارة لتنظيفها احيانا لقلة الصابون •

وكانت تكثر حول هذه العين اشجار التوت والرمان والتين وغيره وكانت معظم الاوقات مباحة يأكل منها الغادي والرائح • وكان طلاب المدرسة الاحمدية يقصدونها في رحلاتهم كما كان اولاد القرية يترددون عليها في اوقات فراغهم لصيد العصافير •

وفي اسفل الوادي على مسافة حوالي ٥٠٠م من العين يقع نبع السياح الذي ظل مصدر المياة الرئيسي للقرية حتى سنة ١٩٤٥ • وهو اقوى واشد غزارة من عين ام الفرج • لكن ماءه أثقل من ماءها لأنه يخرج من صخر كلسي وهي من صخر يابس • وقد درجت تسميته «بالنبع» بينما اطلق على عين ام الفرج «العين» هذا بصفة المذكر وتلك بصفة المؤنث ولا يعرف احد كيف جاءت هذة التسمية لكنها جاءت

مطابقة لسنة الله في الكون حيث خلق من كل شيء زوجين ولا بد من وجود خصائص للنبع تتفق مع تذكيره وللعين ما يوافق تأنيثها •

لم يكن السياح مورد الكبابير الرئيسي فحسب بل كانت مياهه تروي البساتين القريبة التي انشأها على عساف واولاده ثم ايوب الهندي وعائلة عباس (زريقة) وجميعهم من الطيرة • وكانت مياه النبع تصب في بركة كبيرة مفتوحة ثم تنساب المياه في قنوات حتى البساتين • وقد كانت تلك البساتين تؤتي من مختلف الاثمار والفاكهة وظلت منذ العهد التركي حتى أوائل عهد الانتداب عندما أخذت تقفر تدريجيا خاصة بعد أن أستولت شركة تزويد المياه لجبل الكرمل على القسم الاكبر من المياه بمساعدة الانجليز • لكن عزيز الخياط الذي اشترى حصة ايوب الهندي طور المكان وانشأ بستانا على طراز حديث اشتمل على بركتين للسباحة وعرائش للكرمة وغرست فيه مختلف الأشجار المثمرة والازهار الجميلة المتنوعة فاعاد الى الوادي نضارته واصبح البستان منتزها لعائلة خياط وللاغنياء من أهالي حيفا حيث كانوا يقضون فيه عطلة آخر الاسبوع • وقد فتح الخياط طريقا يصل البستان بالمدينة •

اما تحويل مياه السياح الى جبل الكرمل فقد شرع به مع الاحتلال البريطاني للبلاد عندما قام

سبكتور وموشلي بمساعدة الجيش البريطاني بضخ الماء الى معسكر الجيش الذي كان على ارض الكبابير الفوقا (حول خزان المياه اليوم) بواسطة انابيب مدوها من الكرمل حتى النبع وكانت هذه المياة تصب بادىء الامر في اوعية كبيرة من القماش السميك (الشوادر) الى حين تم نصب خزان من الحديد• وبعد مضي سنة تقريبا انتقل معسكر الجيش من المكان وكلفت الحكومة اسبكتور وموشلي بايصال الماء من الخزان حتى محطة سكة الحديد بحيفا وهكذا كانت مياة السياح اول ماء وصل حيفا بواسطة الانابيب التي أمتدت من نبع السياح حتى محطة السكة ، وذلك قبل أن تبدأ الشركة بتوزيعها على سكان الكرمل •

هكذا كان واد السياح قديما يزخر بالحياة والحركة فقد كنت ترى من اعلى الجبل قوافل الملايات من الكبابير ينزلن ويصعدن على درب السياح على مدى ساعات النهار يجلبن الماء اما على رؤوسهن أو على ظهور الدواب • ثم ترى قطعان الماشية وهي تتوالى على المورد في ساعات الظهيرة من سفوح الجبال ومن الوديان والرعاة على الجابية يستقبلونها ويرشون لها القطران • وبعد قيلولة ساعة حول الماء تصدر هذه القطعان بانتظام يتقدمها رعاتها فرحين يعزفون على مزاميرهم ومن خلفهم الاجراس المتنوعة تدق • اما البابور الذي كان يضخ الماء الى الكرمل

لا يتوقف عن الحركة ولم يكن صوته ينقطع ليلا ولا نهارا واليوم لا تسمع ولا ترى من كل ذلك شيئا فقد هدم البابور وخربت الباستين واختفت تلك القطعان وارتاح الملايات وحتى النبع نفسه اغلق ولم يعد حتى عابر السبيل يجد فيه ما يروي ظمأه •

أما أهل السياح فلا يزال القسم الاكبر من عائلة عساف وعباس يقيمون في الوادي وقد أنتقل قسم منهم الى الكبابير وأقاموا فيها • ويعتبر واد السياح ضمن منطقة الكبابير من ناحية ادارية •

الطيرة

((وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك))

((قرآن كريم))

تقع قرية الطيرة على مسافة ٧كم جنوب مدينة حيفا • وهي كبرى القرى العربية على الساحل • كانت تدعى طيرة حيفا واليوم تدعى طيرة الكرمل لتمييزها من قرى اخرى تدعى بهذا الاسم كطيرة بني صعب في المثلث •

تربط الكبابير بالطيرة علاقة قربى ومصاهرة وجوار فحمولة الباشية وهي من اكبر الحمائل في الطيرة تنتمي كاهل الكبابير الى جد واحد هو الباش في نعلين • كما ان ثلاثة من ابناء عودة الخمسة تزوجوا من الطيرة اثنان من الباشية وواحد من حمولة أخرى • كذلك تزوج بنتان من بنات عودة الثلاث في هذه القرية •

ومن ناحية جغرافية وادارية ظلت الكبابير حتى عهد الانتداب البريطاني والى أن ضمت الى منطقة بلدية حيفا تعتبر جزءا من اراضي الطيرة التي كانت تمتد شمالا حتى حدود دير مار الياس ومداخل حيفا وشرقا حتى أرض بلد الشيخ وجنوبا حتى عين حوض وغربا حتى شاطيء البحر •

ثم من ناحية ادارية كانت الكبابير تعتبر جزءا من الطيرة وظل اهلها يشتركون في انتخابات مخاتير الطيرة الى أن انتخب مختار للكبابير من بين ابناءها سنة ١٩٣٤ •

ورغم ان علاقة الكبابير الحياتية بحيفا كانت أوثق لقرب الكبابير من المدينة ولتوفر متطلبات القرية فيها الا أنها ظلت علاقة مصالح • لكن العلاقة مع الطيرة كانت اعمق من ذلك • تمليها مشاعر القرابة والغيرة ، وظلت الكبابير والطيرة على مر الأيام تشارك الواحدة منهما الاخرى افراحها واتراحها رغم كل ما كان يحدث أحيانا ملأن منازعات وتنافر •

لقد كانت الطيرة من أشهر القرى الزراعية في البلاد وامتازت عن غيرها من قرى فلسطين بكروم زيتونها • حتى سمعت ذلك من استاذ الجغرافيا عندما كنت طالبا في المدرسة الثانوية وكان من الأنجليز ، بأن زيت الطيرة أفخر زيوت الزيتون في فلسطين • وقد كان لعائلتنا جزءا من هذة الكروم التي قلع للاسف معظمها في عهد أسرائيل بعد أن أقيمت عليها معسكرات للجيش •

وحتى آخر ايام الانتداب ظل الباعة من أهل الطيرة يترددون على الكبابير بلا انقطاع فكان منهم بائع الخضار والفاكهة ومنهم بائع اللحم الذي كان

يحضر اخر كل اسبوع بالالتزام • كذلك بائع الحلوى الذي كان ينتظرة اولاد القرية بفارغ الصبر ويهرعون اليه ليس ليشتروا قطعة الهريسة التي كانت تكلف تعريفة أو بيضة بقدر ما هو للاستمتاع بلقاء ذلك البائع الفكاهي والهزلي •

لقد أتى على الطيرة زمن كانت تضاهي فيه حيفا التي ظلت تعتبر قرية حتى ايام حكم الظواهر وكانت حيفا تخشى سطوة الطيرة واهلها • ويروي لورنس اوليفانط الذي زار البلاد سنة ١٨٨٢ فيما كتب عن حيفا ان احدا من سكان حيفا لم يكن يجرأ على الخروج خارج البلدة القديمة بعد غروب الشمس مخافة ان يلقاه احد من اهل الطيرة • وظلت الطيرة مرهوبة الجانب حتى أثناء الحكم البريطاني • ففي أثناء الاضطرابات التي وقعت في حيفا بين العرب واليهود سنة ١٩٢٩ خفت جماعة من أهل الطيرة لنجدة أهالي حيفا وهاجموا حي بات جليم حتى أعترضتهم القوات البريطانية وردتهم بالقوة بعد أن قتلت منهم رجلا وجرحت أخرين •

ومع ما كان لاهل الطيرة من خصال حميدة الا انهم امتازوا عن غيرهم من سكان القرى المجاورة بحدة طبائعهم الامر الذي كثيرا ما كان يسيء الى علاقاتهم مع جيرانهم وبورطهم مع السلطات •

وفي حرب ١٩٤٨ كانت اليهود تخشى جانب الطيرة وتحسب لها الحساب الكبير ولكن المفاجأة

الكبرى حدثت عندما دخلتها قوات الهجانا ولم تجد فيها احدا • وقد باشرت السلطات اليهودية بهدم القرية ، لكن عدم توفر المساكن للمهاجرين اليهود الذين بدأوا يتدفقون على البلاد اجبر السلطات على ابقاء قسم من بيوتها قائما حتى اليوم •

رشميـــــا

« كمثل جنة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين »
(قرآن كريم)

هي الارض الواقعة حـول روميما اليـوم يحـدها من الغرب اخوزة او شارع ديسرائيلي اليوم ومـن الجنوب سفح الجبل الشمالي الواقع تحت بيـت بـيرم والجامعة اليوم وشرقا فرش الحلقة عـراق الـزعان أو النبي شعذان اليوم ومن الشمال عين العليق وأرض شيليب قرب روميما القديمة اليوم •

وهي ارض جبلية تتخللهـا هضـاب (فروشـ وخلات) في غاية الخصوبة • وهي ملك لبلد الشيـخ القرية الواقعة شرقي حيفا حيث تل حنان اليـوم • وكان الناس يتنافسون ويتسابقون على زراعتها وكان هذا التزاحم يتطور احيانا الى تخاصم وتنازع بـين الضامنين لها • وكان اهل الكبابير اكثـر من تولـى زراعتها واستغلال تربتهـا • وقد زرعها لمـدة محدودة محمد خطاب ابو العبد بعد ان غادر الكبابير وقبل ان يرتحل الى قرية ام دفوف • كذلك زرع قسمـا مـن ارضها ابناء عائلة شنبور الذين كانوا يقيمون علـى مقربة منها في ارضهم القريبة من اخوزة والتـي لا تزال تسمى بارض الشنبور • وكان الفلاحون يزرعون فيها مختلف انواع الحبوب والقطاني والخضار •

ويصف شيوخ القرية ممن لا يزالون يذكـرون تلك الفترة خصوبة ارض رشميا بقولهم انها كانت تأتي باحسن المحاصيل الزراعية من بين اراضيهم كلها من ذلك قولهم ان حقول الفول كانت تنمو وتغل الى حد ان البقر كان يتوارى فيها • اما البـندورة البعليـة فكانت تظل تعطي ثمارها حتى موعد الحرث الجديـد في ايام الخريف فكانوا يقلعونها ويجمعـوا ما عليها من الثمر الذي لم ينضج بعد ثم يدفنونه في التبـن الى ان ينضج وهكذا يأكلون البندورة حتى في فصل الشتاء • وهكذا كانت تؤتي اكلها مرتين •

اما المواقع التي كانت تزرع في رشميـا فهـي ساحة البئر وهي الارض المنبسطة الواقعة امام هيكل الرياضة اليوم ثم خلة راس البئر الى الجنوب مـن ذلك ثم خلة السمسم الى الشـرق من ذلـك ثم ابو سويد وهو الجبل الواقع شرقي ساحة البئر ثم دبـة سنامة الواقعة شمال ابو سويد ثم خلة الصوانية ثم خلة الشيخ الى الشرق من عين الصوانية وكذلك خربة رشميا وهي هضبة روميما القديمة اليوم والتي تشمل اثريات لمبان قديمة عرفت منذ العهد العثماني وهناك من يقولون أنها أثار رومية (كفرية) •

وفي منطقة رشميا ثلاث ينابيع للمياة العذبة • اهمها بئر رشميا وكانت في وسط ساحة البئر جنوب هيكل الرياضة وقد اغلقت وطمرت تحـت الشـارع

الرئيسي الذي يمر من روميما• ثم عين العليق الواقعة في الوادي المحاذي للخربة شمالا • وسميت بهذا الاسم لكثرة العلق في مائها • وأخيرا عين الصوانية الواقعة قرب فرش الحلقة وتحت رموت ريمز اليوم•

لقد ظل اهل الكبابير يزرعون ارض رشميا الى ان اشترتها شركة تحسين الاراضي اليهودية من اهل بلد الشيخ بعيد الاحتلال البريطاني وحتى بعد أمتلاك اليهود لها ضمنها اهل الكبابير الى فترة محدودة على اساس ربع الغلال لصاحب الارض • كما زرعها الفلاحون اليهود انفسهم بعض الوقت •

لقد سكن ارض رشميا ايام الدولة العثمانية محمد خطاب كما جاء بعد أن غادر الكبابير وظل فيها الى أن ارحل الى قرية أم دفوف • وبعد أن نكبت عائلته بوباء مهلك في تلك القرية نجا من العائلة علي وابنه داود وبنته امنة ، الذين عادوا في الحال الى رشميا• بعد ان فقد علي زوجته خديجة عبد القادر عودة وابنه الثاني حسن •

حيفا

« وجاء اهل المدينة يستبشرون »

((قرآن كريم))

لا يمكننا ونحن ندون تاريخ الكبابير الا ان نستعرض معه ولو بالايجاز تاريخ مدينة الكرمل وعروس البحر حيفا ذلك ان علاقة الكبابير بهذه المدينة كانت منذ القدم ولا تزال وثيقة وحتمية فقد ظلت هذه الصلة تقوى وهذا التفاعل يزداد مع تطور المدينة وازدهارها واتساع رقعتها الى ان ضمت الكبابير الى منطقة بلديتها في الثلاثينات من هذا القرن واصبحت حيا من احيائها فكانت عملية تمصير (تمدين) غير عاديه بحيث أمتدت المدينة حتى وصلت القرية بدل ان تأتي القرية الى ألمدينة الأمر الذي نادرا ما يحدث في تاريخ تطوير المدن •

يستدل من الشواهد التاريخية ان تأسيس هذه المدينة يرجع الى ما قبل المسيح عليه السلام • فقد عثر اثناء العمل في ميناء حيفا ايام الانتداب البريطاني على اثار قديمة بالقرب من بات جليم يرجع تاريخها الى عهد الرومان • وكان موقع المدينة الأصلية ما بين بات جليم (القشلة اليوم) والميناء وكان يحيط بها سور •

وقد احتلها المسلمون في القرن السابع للميلاد ابان فتوحاتهم لهذه البلاد وظلت تحت الحكم الاسلامي الى ان احتلها الصليبيون سنة ١١٠٠ فاخضعوها

بمساعدة اسطولهم البحري بعد حصار دام اكثر من شهر فقتلوا حاميتها وجميع من كان فيها من المسلمين واليهود وهدموا المدينة • وقد سماها الصليبيون كيفا وظلت تعرف بهذا الاسم حتى القرن الثامن عشر •

وفي سنة ١١٨٧ احتلها صلاح الدين الايوبي ثم عادت الى الصليبيين سنة ١١٩٢ ثم استرجعها السلطان الملك العادل سنة ١١٩٧ ، فهدم اسوارها لكن الصليبيين استرجعوها للمرة الثالثة بعد سنة ، وظلت تحت سلطانهم حتى احتلها نهائيا السلطان الظافر بيبارس المملوكي سنة ١٢٦٥ فهدمها عن بكرة ابيها ثم عمرت من جديد لكنها ظلت حتى القرن الثامن عشر قرية اكثر منها مدينة •

وفي سنة ١٥١٦ سقطت حيفا بيد السلطان سليم الاول العثماني وظلت تحت سلطة خلفاء بني عثمان الى ان تمرد الشيخ ظاهر العمر على السلطة المركزية في اسطنبول فبسط نفوذه على منطقة الجليل ومرج ابن عامر وهدم حيفا سنة ١٧٥٠ لكنه اعاد بناءها بنفسه من جديد بعد ثمان سنين ليس في موقعها الاصلي بل في موقعها الجديد المعروف اليوم بالبلدة القديمة وعلى بعد ٢كم جنوب شرقي المدينة الاصلية ونقل اليها حوال ٢٥٠ نسمة واحاطها بسور ذي بوابتين تغلقان اثناء الليل ويخترقها شارع واحد هو شارع يافا فيما بعد • وقد نصب برجا فوق المدينة لحمايتها من السفن البحرية في الموقع المعروف الى

اليوم بالبرج مقابل عمارة البلدية • وهو الذي سماها «حيفا» وكان يطلق عليها ايضا اسم «العمارة» وحسب رسم وضعه المهندس الالماني شومخر كانت حدود هذه المدينة الجنوبية شارع ستانتون اليوم وعلى طول ١٦٠ مترا تقريبا ومن الشرق الجامع الصغير قرب دائرة البريد اليوم وعلى عرض ١٢٠ مترا تقريبا ومن الجهة الشمالية شاطيء البحر الذي كانت امواجه وقتها تضرب جدران الجامع الكبير في الجرينة وعلى طول ٢٣٠م تقريبا وغربا ساحة الخمرة او ساحة الحناطير (ساحة باريس اليوم) وعلى عرض ١٢٠م تقريبا • وكان يحيط بها سور سمكه ٧٥ سم وأرتفاعه أربعة أمتار ونصف وقد ظل هذا السور قائما ببوابته حتى مجيء الالمان الى حيفا في اواخر الستينات من القرن التاسع عشر ولم يكن عدد سكانها يتجاوز بعد الالفين • وظلت تعرف اثناء حكم الظواهر بقرية حيفا التابعة لعكا •

وفي سنة ١٧٧٥ تمكن الاتراك من القضاء على نفوذ الظواهر ومن ذلك الحين ظلت البلاد تحت سلطة اسطنبول المباشرة حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ما عدا فترتين قصيرتين الاولى عندما احتل نابليون حيفا سنة ١٧٧٩ واتخذها مركزا لحصار عكا لكنه انسحب في مدة سنة بعد ان فشل في احتلال عكا • أما الفترة الثانية فدامت تسع سنين منذ احتلها ابراهيم باشا بن محمد على باشا سنة ١٨٣١ الذي

تمرد هو الاخر على الدولة العثمانية ولكنه هزم سنة ١٨٤٠ •

لقد اخذت مدينة حيفا تتفتح وتتطور منذ اوائل القرن التاسع عشر • ففي سنة ١٨٣٠ بدأ الاستيطان اليهودي بقيام طائفة يهودية داخل الاسوار وكان هؤلاء من المهاجرين من شمال افريقيا وغيرهم من اليهود السفراديين ومن هذه العائلات القديمة عائلة ابو طبول وحسان وليفي ••• وكانت لهم حارة تدعى بحارة اليهود تقع في الناحية الجنوبية الشرقية عند سوق الشوام وكان بعضهم شركاء في التجارة مع العرب • وقد زار المدينة سنة ١٨٣٩ اللورد مونتفيوري اليهودي البريطاني الثرى ومؤسس حي مونتفيوري بالقدس وكانت زيارته حافزا لهجرة المزيد من اليهود لحيفا • الا ان تطور الاستيطان اليهودي لم يبدأ بالشكل الملموس ألا في أوائل القرن العشرين عندما شرع سنة ١٩٠٨ ببناء حارة اليهود الاشكناز الاولى في شارع هرتسليا خارج المدينة القديمة ثم بعد ذلك بسنة انشاء بنك انجلو فلسطين (لؤومي) وفي سنة ١٩١٢ تأسيس التخنيون ومدرسة الريالي •

لكن التطور العظيم الذي حظيت به مدينة حيفا في القرن الماضي كان على يد المستوطنين الالمان الذين احدثوا انقلابا في حياة المدينة ومن الجدير أن نأتي على هذه المرحلة الحاسمة ولو بشيء من الايجاز :

كان الالمان الذين بنوا الكلولونية الالمانية بحيفا من جماعة الهيكل او الهيكليين او «اصدقاء اورشليم» كما كانوا يسمون انفسهم وكانوا يؤمنون بقرب ظهور المسيح الذي بحسب الكتاب المقدس سيعيد بناء الهيكل ولهذا رأوا من واجبهم الحضور الى الأرض المقدسة ليمهدوا له السبيل وقد انفردوا بمعتقدات خاصة تسببت في طردهم من الكنيسة منها : اعتقادهم ان المسيح لم يكن ابن الله ثم ان الخطيئة البشرية يمكن لكل شخص أن يمحوها عن نفسه بقيامه بأعمال صالحة دون الحاجة الى كفارة المسيح •

قاد هذه الحملة الى الارض المقدسة زعيما الحركة كريستوف هوفمان وجورج هاردج• وقد توجها سنة ١٨٦٨ بطلب الى الباب العالى في اسطنبول لمنحهم ارضا على جبل الكرمل لانشاء جالية المانية تكون نموذجا مثاليا في الحياة الخلقية والتقدم الاقتصادي دون تدخل في السياسة • وما كادا يصلا مدينة حيفا حتى وصل فرمان (مستند) من الباب العالي يمنع تمليكهما ارضا في فلسطين ما داما رعايا اجانب • ولكن هاردج لم يعبأ بالحظر فاشترى ارضا بحيفا وسجلها باسم احد السكان العرب وشرع يبني عليها ولما علمت السلطات بالخدعة الغت شرعية الشراء • ولكن هاردج رغم ذلك اشترى قطعا أخرى من الارض وفي شهر أيلول سنة ١٩٦٩ دشن أول بيت من بيوت الكولونية وفي ربيع ١٨٧٠ دشن بيت الطائفة وفوق

بابه كتب : «ان نسيتك يا اورشليم فلتنسني يميني» ولا يزال هذا المقر قائما حتى اليوم •

وهكذا قامت خلال مدة وجيزة اول واكبر مستوطنة للالمان في هذه البلاد ببيوتها الانيقة وحدائقها الجميلة وشوارعها المنسقة وكانها قطعة من المانيا في فلسطين • وقد وصلت هذه الكولونية أوج مجدها عندما زارها قيصر المانيا ولهلم الثاني سنة ١٨٩٨ والذي كان وقتها اعظم زعيم في العالم وصديقا حميما للسلطان عبد الحميد وبأمر من السلطان اعد لاستقباله في ميناء حيفا رصيفا خاصا بتخطيط من المهندس الالماني شومخر جرت تسميته فيما بعد بالبونط الالماني ومهدت الطريق بين حيفا ويافا ليصل في عربته مستعمرة الالمان هناك وقد عززت هذه الزيارة من مركز الالمان بحيفا كثيرا •

لقد احدث هؤلاء الالمان انقلابا في حياة المدينة الاقتصادية • فكانوا أول من أحضر العربات التي تجرها الخيول منها نوع للمسافرين يجره حصانان ونوع اكبر تجره ثلاثة خيول وعربات اخرى لنقل البضائع • وقد تسبب عن استعمال هذه العربات هدم بوابتي المدينة وفتح فجوات اخرى في السور لتمر منها العربات • وتبعا لذلك تم تحسين الطرق وتوسيعها وكان للالمان باديء الامر الامتياز في مجال المواصلات كلها فكانت عرباتهم تنقل المسافرين من

حيفا الى عكا بدل الحمارين ثم فتحوا طريقا للعربات يصل حيفا بالناصرة على حسابهم وفي الميناء كانت عرباتهم تنتظر قدوم السفن لتنقل المسافرين والبضائع الى داخل البلاد • وكان الالمان يصنعون هذه العربات بانفسهم في حيفا •

اما عن مهارتهم الفنية واخلاصهم في العمل فحدث ولا حرج • لقد احدثوا نهضة صناعية في المدينة وادخلوا اساليب جديدة في الزراعة والتجارة لم تعرف المدينة لها مثيلا من قبل فكانوا أول من أقام المطاحن للغلال والمعاصر للزيت والنبيذ واقاموا معامل للصابون كانت تصدر منتوجاتها الى الخارج خلال سنوات قليلة • وكانت صناعتهم هي المفضلة في البلاد ومحظوظ من تعلم منهم مهنة • وفي بعض البيوت القديمة في الكبابير ابواب وشبابيك صنعها اولئك الالمان لا تزال تؤدي وظيفتها على احسن وجه اما في معاملتهم فكانوا امينين وصادقين ويروى عنهم انهم كانوا يدفعون للاجير الذي يعمل عندهم اجره الاسبوعي يوم السبت قبل ان يدخل الاحد

وخلاصة القول فان هؤلاء الالمان قد ادخلوا لمدينة حيفا من التقدم والتطور ، سيما اذا اخذنا بالاعتبار ما انشأوه على الكرمل ، ما جعل حيفا بحق من اجمل وارقى بلد في الدولة العثمانية انذاك •

اما بلدية حيفا فقد تأسست سنة ١٨٨٢ وكان مقرها في غرفة واحدة في الناحية الشرقية من البلدة القديمة وكان يعمل فيها انذاك سكرتير وشاويشان • ثم استقرت اخر العهد العثماني في خمس غرف في ناحية القشلة ثم الى عمارة الروم في شارع المتنبي حيث كانت الكلية الارثوذكسية ومنها الى شارع ستانتون حيث كان البنك العربي واخيرا الى مقرها الحالي سنة ١٩٤٤ • اما رئيس البلدية فكان يعينه القائمقام أو نائب الوالي التركي • ومن بين هؤلاء الرؤساء مصطفى باشا الخليل (لا زال بيته قائما في البلدة القديمة) وجمال بك صادق وابراهيم بك الخليل وقد كان في المجلس البلدي ايام العهد العثماني عضو يهودي واحد هو حاييم ليفي • وبعد الاحتلال البريطاني ظل رئيس البلدية يعين من قبل المندوب السامي لفلسطين الى ان صدر اول قانون للبلديات سنة ١٩٣٤ ينصب بموجبه رئيس البلدية بالانتخاب•

انتخب سنة ١٩٣٤ أول رئيس بلدية بموجب القانون الجديد هو حسن شكري وظل حتى اندلاع ثورة ١٩٣٦ عندما استقال من المجلس البلدي جميع الاعضاء العرب وكان في المجلس انذاك اربعة من المسلمين واربعة من المسيحيين واربعة من اليهود • فعين المندوب السامي لجنة لادارة البلدية بدل المجلس برأسة حسن شكري ، الذي ظل مهددا من قبل العرب لقبوله التعيين الى ان توفي سنة ١٩٤٠ • وبعد وفاته

عين المندوب السامي شبتاي ليفي الذي ظل رئيسا لبلدية حيفا حتى قيام دولة اسرائيل وانتخاب اباخوشي رئيسا للبلدية سنة ١٩٥١ في انتخابات عامة •

لم يكن للبلدية حتى صدور قانون البلديات سنة ١٩٣٤ صلاحية بفرض الضرائب على السكان • وكانت الحكومة هي التي تجبي الضرائب عن الاملاك «وركو» وتعطي البلدية قسما منها للقيام بخدمات الحراسة والكناسة أي التنظيفات والأنارة • وفقط في سنة ١٩٤٠ بدأت البلدية تجبي ضرائب عامة ولكنها كانت تعيدها للطوائف المختلفة من المدينة • أما للاحياء اليهودية فكانت لجنتان الاولى لهدار كرمل والثانية لجبل الكرمل وكانتا تقدمان لهذه الاحياء الخدمات على أنواعها بدعم الوكالة اليهودية ومما تفرضه هاتان اللجنتان من ضرائب على السكان وظلت هاتان اللجنتان تعملان كحكومة داخل حكومة حتى نهاية الحكم البريطاني • وفي اواخر عهد الانتداب وصل عدد سكان حيفا الى حوال مئة الف نسمة كان ٧٠٪ منهم عربا •

اما ميناء حيفا الذي كان دائما من اهم العوامل لتطوير المدينة فقد كان اول من اهتم بتطويره ابراهيم باشا سنة ١٨٣٠ كي يهاجم منه على عكا الحصينة كما فعل سلفه من قبل نابليون سنة ١٧٧٩ ثم اهتم بتطويرة الالمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فبنوا البونط اعني الرصيف

في الناحية الغربية من الميناء الحديث • وبعدها اخذ يضاهي ميناء عكا الى ان شرع الانجليز بتطويره سنة ١٩٢٩ فاصبح من اهم موانيء الشرق الاوسط •

لقد ظلت مدينة حيفا طوال الحكم العثماني تستمد المياه اللازمة لها من الابار الخاصة وقد جلبت اليها المياة بالانابيب لاول مرة سنة ١٩٢٢ عندما مد سبكتور وموشلي اول انبوب ماء من جبل الكرمل حتى محطة سكة الحديد وكانت تلك مياه نبع السياح • وفي السنة ذاتها حفر سبكتور بئرا قرب جسر رشميا وموشلي بئرا اخرى في الخليج وتولى احدهما تزويد المياه لحيفا العليا والاخر لحيفا السفلى بواسطة الانابيب التي وصلت البيوت لاول مرة •

وكانت الخدمات الطبية زمن الدولة العثمانية يقدمها لمدينة حيفا مستشفيان الاول للالمان بادارة الدكتور هوفمان وكان موقعه قرب راهبات الالمان في الكولونية الالمانية والثاني للطليان وكان يديره الدكتور كوستيرو ويقع في شارع ستافتون اليوم بالقرب من عمارة سلام •

كما وكان في المدينة حتى اخر العهد العثماني مصرفان المصرف الالماني والمصرف العثماني •واربعة فنادق اثنان يديرهما يهود وواحد للعرب والرابع للالمان ولم تكن في المدينة انذاك مسارح أو دور للسينما وكانت

وسيلة الترفيه الوحيدة صندوق كراكوز وعوّاز او صندوق العجب وفيه كانت تعرض صور لعنترة والزير المهلهل • وكان في المدينة محكمة تصدر احكاما حتى بالشنق وفي ساحة الخمرة كانت تنصب اعواد المشانق ويلبس المحكوم عليهم اثوابا بيضاء • وفي العهد التركي لم يكن في حيفا سوى جامع الجرينة (الكبير) والجامع الصغير وكان للارثوذكس كنيسة لم تزل الى اليوم تقع شرقي ساحة الخمرة والى الشرق منها كنيسة للكاثوليك لا تزال قائمة والى الشمال منها كنيسة اللاتين والى الغرب منها كنيسة الموارنة • اما من ناحية التعليم فلم تكن مدارس حكومية بل كانت مدارس طائفية واحدة لكل من المسلمين والروم والكاثوليك •

ومن ابرز العائلات التي اشتهرت ابان الحكم التركي : عائلة مراد ومنها مفتي حيفا محمد مراد وعائلة الخليل ومنها مصطفى وابراهيم الخليل رؤساء البلدية وعائلة ياسين منها القائمقام نجيب ياسين وعائلة الخوري ومنها سليم الخوري وعائلة شكري ومنها قائمقام ثم حسن شكري رئيس البلدية • وجميعها من العائلات الحائزة على القاب الباكوات والباشوات من الباب العالي في اسطنبول وعلى الغالب تركية الاصل •

وفي اواخر العهد العثماني تأسس في حيفا مركز الحركة البهائية التي انبثقت عن الاسلام الشيعي في ايران سنة ١٨٤٤ فقد نقلت رفات مؤسسها الباب

من عكا ودفن في حديقة البهائيين على سفح جبل الكرمل سنة ١٩٠٩ • بعده ظهر بهاء الله الذي سجن هو الاخر في عكا سنة ١٨٩٢ لمدة ٢٤ سنة حيث مات ودفن في حديقة البهجة بعكا • تلاه عباس كزعيم ثالث للحركة وسجن هو كذلك الى أن اطلق سراحه سنة ١٩٠٨ واستقر في حيفا واتخذها مركزا للبهائية العالمية • وقد مات عباس بحيفا وفيها دفن •

وقبل انتهاء الحكم العثماني على البلاد اصيبت حيفا المزدهرة بضربة قاصمة وخيم على المدينة البؤس والخوف والفقر مدة خمس سنوات تقريبا فما كادت تنشب الحرب سنة ١٩١٤ حتى الغى الباب العالي جميع الامتيازات التي كانت تمنحها الدولة العثمانية للاجانب فهرب الكثير منهم واغلقت المدارس التي كانت تدار من قبل الارساليات الاجنبية وانقطع اولادحيفا عن الدراسة مدة اربع سنوات • وزاد الحالة الاقتصادية تفاقما غزو الجراد لهذه البلاد فهلكت من جراء ذلك معظم المحاصيل وصادرت الحكومة ما تبقى ومات من الجوع والمرض الألوف من الناس وكثيرون من باعوا ممتلكاتهم لاجل الحصول على الغذاء وكان المسلمون اكثر من عانى من هذه المحنة • وقد حكمت السلطات على رئيس الروم ارثذوكس بالموت غيابيا لتحريضه على الاتراك • وساءت العلاقات مع اليهود بعد اكتشاف السلطات لحركة التجسس اليهودية «نيلي» التي كانت تعمل لصالح الانجليز وكان العرب بنظر الاتراك خونة

بعد بدء مفاوضات الشريف حسين مع الانجليز • وعلى العموم كانت غضبة شاملة لتركيا لم يستثن منها احد •

وكانت حيفا اخر موقع تركي سقط بايدي الانجليز وقد اظهر حماتها من البسالة بحيث وصفهم قائد الحملة البريطانية بانهم اظهروا من الفروسية ما لم يعرف مثلها في كل الحملة ضد تركيا • وكانت المدفعية التركية من على جبل الكرمل قد فتكت بالجيوش البريطانية المتقدمة من جهة الناصرة فتكا ذريعا ولم يتمكنوا من احتلال المدينة الا بعد ان هاجموها من الخلف ومن فوق الجبال• وفي مساء يوم الثالث والعشرين من شهر ايلول سنة ١٩١٨ تجمع سكان حيفا في ساحة المسجد الكبير وقدم حسن شكري رئيس البلدية سيفه للقائد البريطاني كينج ايذانا بالاستسلام •

لكن النهضة الكبرى لتطوير حيفا وازدهارها فقد بدأت بعد ان استتب الانتداب البريطاني على فلسطين• ولذلك عاملان اساسيان الاول الحكومة البريطانية نفسها فقد باشرت في الحال بعد احتلال البلاد بمد سكة الحديد العريض بين حيفا والعريش ثم الى القدس بالاضافة الى الخط العثماني الرفيع الذي كان يصل حيفا بدمشق والذي انشأته الحكومة التركية سنة ١٩٠٥ ثم شروع الحكومة باقامة ميناء حيفا في اواخر العشرينات وبعده في الحال انشاء معامل تكرير بترول العراق وبذلك اصبحت حيفا مركزا هاما للمواصلات وجلبت اليها

المزيد من السكان سعيا وراء طلب الرزق • وذلك بالاضافة الى توطيد الامن وتأمين الغذاء بعد الفوضى والمجاعة التي عانى منها السكان الشيء الكثير • ثم لاول مرة في تاريخ المدينة يقام مستشفى حكومي يعالج المرضى فيه مجانا وكذلك مدرسة حكومية للتعليم المجاني وفي سنة ١٩٣٠ كانت حيفا مركز اللواء الشمالي كله •

اما العامل الثاني لتطوير المدينة وتقدمها فهو تدفق المهاجرين اليهود: على البلاد اذ اخذت حيفا تتسع غربا وجنوبا سنة بعد اخرى • وفي سنة ١٩٢٠ بدأت تظهر حارة التخنيون التي سميت فيما بعد بهدار هكرمل • وفي سنة ١٩٢٣ انشئت بات جليم على اطلال حيفا القديمة وفي سنة ١٩٢٢ انشىء معمل الصابون عتيد الذي سمي فيما بعد بشمن • وفي سنة ١٩٢٥ اقام روتنبرج محطة لتوليد الطاقة الكهربائية • وفي السنة ذاتها افتتحت التخنيون • وفي سنة ١٩٢٦ انشىء المركز التجاري اليهودي الجديد الواقع حول شارع البنوك اليوم وغير ذلك من المنشأت والعمران التي قامت من كل صوب وجانب •

اما من ناحية السكان العرب فقد زاد عددهم بصورة ملموسة ونزح الى المدينة عرب من مختلف البلدان المجاورة سعيا وراء الرزق واقاموا لهم مساكن في واد الصليب وواد رشميا ووادي النسناس ومنطقة عباس • ورغم الاضطرابات التي حدثت سنة ١٩٢١ ثم سنة ١٩٢٩ في حيفا كما في المدن العربية الاخرى

احتجاجا على سياسة الانتداب ازاء توطين اليهود في البلاد فقد ظلت حيفا تسير قدما نحو الازدهار والتقدم الى ان اصيبت سنة ١٩٣٦ بضربة شلت حركتها الاقتصاديه عندما اعلن العرب هذه المرة ثورة عارمة ضد الانتداب البريطاني واعلن الاضراب العام في حيفا كما في المدن الاخرى والذي دام ستة اشهر لم يفتح خلاله حانوت أو متجر •

لقد اصاب المدينة حالة من الجمود بسبب الثورة ثم بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية بعدها في الحال ولكن الامور عادت الى طبيعتها بعد انتصار الحلفاء على على المانيا ورجعت حيفا تسير بخطى حثيثة نحو التقدم والعمران • اما الليالي فظلت من الايام حبالى والقضية الفلسطينية اطلت برأسها وبرزت على السطح مرة اخرى عندما اعلنت هيئة الامم بتاريخ ٢٩-١١-١٩٤٧ تقسيم البلاد بين العرب واليهود وجلاء القوات البريطانية الحاكمة عن البلاد • فثارت الاضطرابات من جديد وتحولت الى حرب حامية وبين العرب واليهود هذه المرة مباشرة • وحلت بحيفا الكارثة الكبرى بنزوح أهلها عنها ليلة ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٨ مذهولين مذعورين على مرأى ومسمع من القوات البريطانية التي كان اخرها يتأهب للجلاء النهائي عن طريق ميناء حيفا •

لقد كانت علاقة الكبابير بحيفا قائمة اثناء الحكم العثماني فكانوا يقضون فيها معظم حاجاتهم المعيشية

ويؤدون فيها صلاة الجمعة • وقد كان لعودة نفسه معارف من اهلها ويقال كان له اصدقاء من ابناء ابو زيد وكان يدخن غليونا طويلا قيل انه هدية منهم • ثم كانت لاولاد عودة علاقة بأهل حيفا وكان لهم معارف يترددون على الكبابير أمثال عائلة مراد وياسين وغيرهم وحتى مع المستوطنين الالمان، كانت لهم علاقه • وقد روى لي والدي أن أحد هؤلاء الالمان ويدعى فاي وهو صاحب المطحنه بالالمانية حضر عرسه وقدم له الهديه التقليدية (النقوط) •

وبعد الاحتلال البريطاني توثقت هذة العلاقات وزاد ارتباط القرية بحيفا خاصة بعد ان ضمت الكبابير الى منطقة بلديتها وما تبع ذلك من تنظيم مدني وجباية ضرائب وتقديم خدمات الخ ناهيك عن ان معظم مصادر الرزق لاهل القرية اصبحت مرتبطة بالمدينة ومع ان اهل الكبابير يعتبرون حيفيين منذ انضمامهم الى بلدية حيفا ألا أن دمجهم في حياة المدينة تم ببطىء وعلى مدى سنين طويله •

جبل الكرمل

«ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»

(قرآن كريم)

كلمة «كرمل» معناها بالعبرية «الارض الخصبة» او (الارض النضرة) وهناك قول بأن كلمة كرمل مركبة من لفظين عبريين هما «كرم» و «ال» ومعناه (كرم الله) ونحن اذ نتحدث عن الكرمل اليوم نعني المنطقة منه القريبة والمشرفة على مدينة حيفا والتي اصبحت مع الايام جزءا من منطقة بلديتها • وجبل الكرمل اليوم باستثناء حي لالكبابير العربي مأهول كله بالسكان اليهود • ومن الاهمية ان نتتبع تطور العمران ومراحل الاستيطان الحديث على هذا الجبل ، بدأ باستقرار عائلة عودة عليه في اواسط القرن الماضي ثم عبر الاستيطان الالماني في اواخر القرن الماضي واخيرا الاستيطان اليهودي الذي بدأ في الربع الاول من هذا القرن •

وبالاضافة الى نضارة هذا الجبل وجماله فقد كانت للديانات اليهودية والمسيحية والاسلام علاقة روحية قديمة بهذا الجبل • اهم ذلك «مغارة النبي الياهو» عند اليهود ومقام «مار الياس» عند النصارى و «الخضر» عند المسلمين وجميعها تقع في مكان واحد في طرف الكرمل الغربي الشمالي •

فاليهود يؤمنون بان النبي الياهو اختبأ في تلك

المغارة هربا من الملك «أح أب» الذي كان يطارده • كما يعتقدون ان النبي الياهو صعد الى السماء من هناك في عاصفة وانه سينزل منها قبيل ظهور المسيح وقرب المغارة كذلك قبر تلميذه اليسع ويزور المكان بوجه خاص اليهود الشرقيون الذين يرددون أناشيد وترانيم دينية باسمه ويؤمنون ان زيارة المغارة تأتي بشفاء المرضى ويظهر ان اليهود كانوا يزورون هذة المغارة منذ العصور الغابرة الى ان ابادتهم الحكومة البيزنطية مرة من تلك النواحي حيث كانوا يقيمون ايضا •

اما بالنسبة للمسيحيين فمذكور في الانجيل ان النبي الياس كان صانع معجزات وهو عندهم رائد الرهبنة وحياة التقشف ويذكرونه «كقديس» او «مار» وليس كنبي • ولذا كان دير مار الياس من أهم مراكز الرهبنة في العالم وخاصة للرهبان الحفاة أو الكرمليين • وفي رأس الجبل حيث يقوم الدير مغارة صغيرة يقولون غير قبر اليسع تلميذ النبي الياس • ويرى الكرمليون في دير المحرقة أهمة دينية أكبر لاعتقادهم أن مار الياس صنع المعجزات مع آلهة البعل هناك وليس في دير مار الياس •

اما المسلمون فيتخذون من المغارة مقاما او مزارا « للخضر » الذي حسب معظم المفسرين هو ذلك «العبد» المذكور في سورة الكهف الاية (٦٥) حيث جاء «فوجدا عبدا من عبادنا اتيناة رحمة من عندنا وعلمناة من لدنا علما»

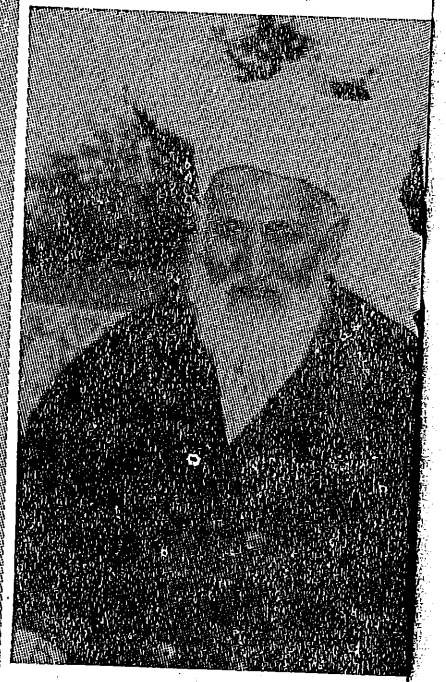

الحاج أحمد عبد القادر عودة

الحاج طيب عبد الحي عودة

حفيدا رائد الاستيطان الأول على الكرمل المرحوم عودة (عربي مسلم) •

ولم يتفق المسلمون على مقام معين لهذا «الخضر» ولذا ترى له في البلاد مقامات متعددة وفي نواح مختلفة • ومنذ الفتوحات الاسلامية لهذه البلاد اقام المسلمون في هذا المكان مسجدا يذكره الجغرافي المعروف ياقوت الحموي (١٢٢٩ — ١١٧٩) في كتابه «معجم البلدان» باسم « مسجد سعد الدولة » كذلك اقام المسلمون مسجدا في موقع المحرقة ولا يزال المحرابان ماثلان في الموقعين • لقد ظل المسلمون يؤدون الزيارات لهذا المقام على مر السنين يأتون بقوافلهم من مختلف قرى الساحل والجليل لأيفاء النذور وللتبريك والتماس الشفاء للمرضى وكانوا يذبحون ويطبخون ويقضون الايام في العبادات ثم يلهون ويفرحون ويرددون الاغاني والاهازيج الخاصة بالخضر • وكان يقيم في هذا المكان منذ الفتوحات الاسلامية دراويش ثم تولى الحفاظ عليه قيم مسلم حتى قيام دولة اسرائيل وفي هذه الايام قلت الى حد كبير زيارات المسلمين الى هذا المقام وأصبح لا يرى من الزوار اليوم غير اليهود تقريبا • أما بالنسبة لاهل الكبابير فقد تلاشت زياراتهم الى هذا المقام منذ دخلوا في الاحمديه وتعلموا بأن ذلك «العبد» المذكور في سورة الكهف ليس هو الخضر بل «محمد رسول الله» صلى ألله عليه وسلم نفسه •

الدير

لدير مار الياس قصة يجدر الاشارة اليها لما كان لها من اثر على مجرى الاستيطان على الكرمل •

ففي فترة حكم الصليبيين انتهز الرهبان الكرمليون الفرصة فبنوا الدير الذي على قمة الجبل ليعيشوا فيه كما عاش النبي الياس حياة تقشف وانعزال •

وعندما استرجع صلاح الدين البلاد من الصليبيين طرد كذلك الرهبان الكرمليون من الدير نهائيا سنة ١٢٩١ •

وفي سنة ١٦٣١ حصل الراهب «بروسبير» الذي كان في حلب على اذن من حاكم المنطقة انذاك الامير طورباي ببناء الدير • وعندما حاول بروسبير أقامة الصلوات في المغارة نشب شجار بينه وبين الدراويش ألذين كانوا يقيمون فيها وشكا هؤلاء الامر الى السلطان في القسطنطينية • فاختار بروسبير مكانا يقع بين المغارة والقمه في سفح الجبل واقام فيه ديره سنة ١٦٣٥ وكان عبارة عن تجويفات في الصخور عاش فيها الكرمليون حوال ١٣٠ سنة الى ان هدمها ظاهر العمر سنة ١٧٦٧ ولا زالت اثار هذة التجويفات موجودة • وقد مات بروسبير سنة ١٦٥٣ قبل اوانه بسبب الرطوبة ورداءة المياه هناك •

وفي سنة ١٧٦٩ صدر بتأثير من فرنسا فرمان (صك) من السلطان العثماني يحذر فيه من مضايقة الرهبان الكرمليين وجعلهم تحت حماية ملك فرنسا ومنحهم امتيازات كالاجانب • وبمساعدة ابراهيم الضباغ المسيحي وزير الظاهر حصل الكرمليون على أذن ببناء الدير وحتى على دعم مالي •ووضع له حجر اساسي جديد على قمة

الجبل وفتحت اليه طريق ستلاماريس (اليوم) ولما حاصر نابليون عكا سنة ١٧٧٩ استعمل الدير مستشفى للجيش الفرنسي •

لكن السلطان عبد الحميد الاول ارسل قوة من مصر فاحتلت فلسطين وقوض الدير وتدحرجت احجاره الى اسفل وظل هكذا الى ان هدمه عبد الله باشا والي عكا كلية سنة ١٨٢٠ وعبد الله هذا هو صاحب القصر المنيف القائم غربي عمارة الدير وكان قاسيا على الكرمليين •

وبعد تدخل ملك فرنسا سنة ١٨٢٧ نجح الراهب كاسيني بالحصول على سماح من الباب العالي ببناء الدير من جديد • ثم جاء احتلال ابراهيم باشا للبلاد سنة ١٨٣١ فمكن الكرمليين من بناء الدير على نحو ما يريدون وقدم لهم قصر عبد الله باشا هدية نكالا به ولما كان بينهما من عداوة وقضوا في بناء الدير الجديد عشرين عاما وهو البناء الذي نراة قائما اليوم • وظل الرهبان فيه يتمتعون بامتيازات خاصة منذ ذلك الحين حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى • وكان للدير نفوذ قوي وسيطر على مساحات شاسعة من ارض الجبل الامر الذي ادى الى منازعات حادة بين الكرمليين والمستوطنين الالمان على الكرمل وتسبب كذلك بمضايقات لاهل الكبابير وغيرهم الذين منعوا من رعي مواشيهم داخل هذه المناطق التي وصلت حدودها واد العميق المحاذي للقرية • وكان الدير وقتها يتصرف وكأنه حكومة داخل حكومة •

وعندما دقت طبول الحرب العظمى الاولى اتهمت السلطات رهبان الدير بالتعاون مع العدو فاجري التفتيش على السلاح في الدير وهدم الهرم الذي اقيم امامه لذكرى جنود نابليون وطرد جميع الرهبان ما عدا القليلون منهم ممن كانوا رعايا دول محايدة كالاسبان وامرت الحكومة التركية بهدم الاسوار الطويلة والبالغ ارتفاعها مترين التي بناها الكرمليون حول الاراضي التي بسطو عليها نفوذهم على الكرمل وهرع الناس من كل مكان ومن ضمنهم اهل الكبابير للاشتراك بعملية الهدم هذه وعندما احتل الانجليز البلاد لم يكن في الدير سوى راهب واحد • بعدها أخذ الرهبان يعودون الى الدير تدريجيا وعادت اليه الحياة كما كانت قبل الحرب ولكن بدون امتيازات من الانجليز كالتي كانوا يتمتعون بها ايام العهد التركي •

ومن المظاهر الشعبية التي كانت تتم حول هذا الدير اقامة المهرجانات الجماهيرية في كل عام بمناسبة عيد مار الياس والتي كانت تتسم بصبغة شعبية عامة اكثر منها دينية • فقد كان يتوافد الى ساحة الدير بهذه المناسبة المغنون والشعراء الشعبيون (الحادون) والعازفون على العيدان والمزامير من مختلف قرى الجليل والساحل ومن مختلف الاديان • فتقام حلقات الدبكة والرقص والمحاورات لشعرية الشعبية وكأنه سوق عكاظ • ويأكلون ويشربون ويغمرهم الفرح اياما وليالي ولم يكن حماس

شباب الكبابير لحضور هذه المناسبة باقل من حماس أهل القرى الاخرى لكن هذا التقليد تلاشى في الثلاثينات •

وهناك دير اخر على جبل الكرمل يطلق عليه «دير مار الياس» وهو الواقع حاليا في المسكوبية في شارع هناسي وهو تابع للكنيسة الروسية الارثذوكسية • وكان هذا الدير في فترة من العهد العثماني على موقع مار الياس التابع للكرمليين فعندما كانت تتأزم علاقة الدير مع السلطات العثمانية فكان الارثوذكس يغتنمون الفرصة للسيطرة على موقع المحرقة كذلك ولكن الكرمليين لم يمكنوهم من ذلك وكانت تقع بين الطائفتين منازعات مريرة وقد علمت من مصادر شفوية أن هذا الدير بني في اواخر القرن الماضي •

كرملهايم

كان مخطط الالمان الاساسي ان يستوطنوا على الكرمل وهذا ما طلبه زعيما حركتهم من الباب العالي • لكنهم بدأوا بانشاء الكولونية الالمانية بحيفا بعد ان لم يتم لهم ذلك على امل ان تتسع لتصل الكرمل • وقد شعر الكرمليون اصحاب الدير بذلك المخطط فأعلنوا أنهم لن يفرطوا بشبر من الكرمل واعاقوا بذلك بناء الالمان مدة عشرين سنة حتى تمكن كلر عام ١٨٨٧ من بناء أول بيت له في شارع كلر رقم ٢ • وبدأت بين ألالمان الكرمليين منازعات طويلة ومريرة ولكن مع ضعف نفوذ فرنسا وازدياد نفوذ المانيا لدى الحكومة التركية أفلح الالمان بتأثير من قنصل بروسيا أن يستميلوا ألسلطان التركي الذي وهبهم ١٢٫٠٠٠ دونم على الكرمل

سبكتور (رائد) الاستيطان
لى الكرمل (يهودي)

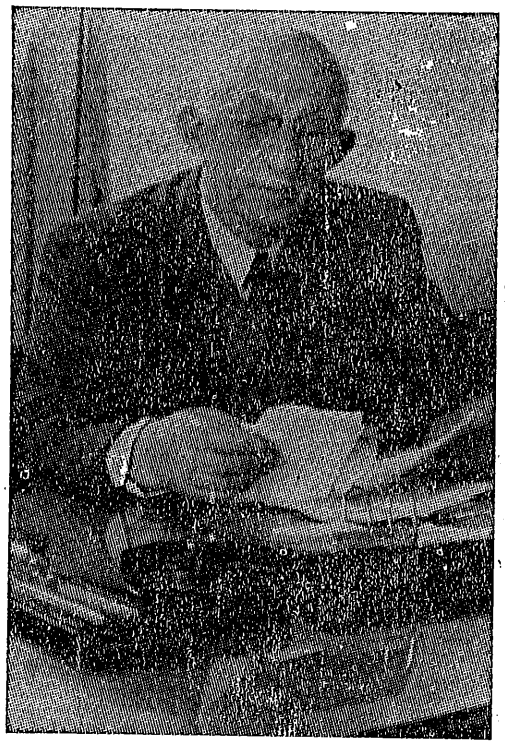

فريدريك كلر رائد الاستيطان
الثاني على الكرمل (الماني مسيحي)

فجن جنون الكرمليين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب الجبل حتى دير المحرقة وادعوا أن لديهم فرمان (مستند) من الباب الباب العالي يمنحهم الملكية على الارض • فاغاظ الالمان ان يروا رهبانا خاملين كما اعتبروهم ، يمنعونهم احسن الاراضي ويعيقوا مشروعهم وكان الكرمليون قد بسطوا نفوذهم على ١٢ ميل مربع او ما يعادل ٣٣٥٠٠ دونما من الارض ولاجل ان يثبتوا حدودهم اخذوا يبنون الاسوار حول ارضهم كما جاء • واما الالمان فاسرعوا الى تقسيم الارض التي وهبهم اياها السلطان وخططوها بأذن من السلطة المحلية وشرعوا بغرس كل شبر منها باشجار الفاكهة وكروم العنب غير مبالين بمعارضة الرهبان واشتد النزاع بينهما ورفعت قضايا ظلت في المحاكم مدة ١٢ سنة وفي سنة ١٨٨٥ تأزمت العلاقات بشكل خاص عندما حاول الالمان وعلى رأسهم كلر شق طريق الى الكرمل (هو طريق الجبل فمنعهم الرهبان لان ذلك الطريق وهو شارع الجبل وجادة هناسى اليوم كان لا بد ان يمر من ارضهم التي وصلت حدودها حتى فندق دان اليوم ولم يكن طريق يوصل الى الكرمل انذاك غير طريق ستلامارس التابع للرهبان والذي كانوا يتقاضون ممن يمر فيه رسوم مرور (اثنين ونصف متليك) فاضطر الالمان الى مواجهة الرهبان بالقوة وخرجوا اليهم بستين رجل مسلح منهم عدد من مسلمي حيفا فهدموا أسوار الدير وفتحوا الطريق عنوة • وتناقلت صحف العالم أخبار هذا النزاع حتى وصل الامر الى البابا والى السلطان وممثلي الدول الاجنبية

وكان ممن وقفوا الى جانب الالمان انذاك عضو البرلمان البريطاني لورنس اوليفانت الذي كان أوفد من قبل رئيس الحكومة البريطانية ديسرائيلي في اواخر القرن الماضي ليدرس امكانية توطين اليهود في هذه البلاد وقدم مشروعا رفضه السلطان عبد الحميد وقد عاش اوليفانت هذا بقية حياته في حيفا ودالية الكرمل وبعد وفاته عاشت زوجته بين الالمان الى ان توفيت ودفنت في مقبرهم بحيفا • وكان اوليفانت يهاجم الكرمليين بشدة لتسلطهم على الاراضي واعتبارهم الجبل حتى دير المحرقة «محمية» لهم وحدهم دون ان يستغلونها او حتى يسمحوا لرعاة الاغنام بدخولها •

ظل هذا النزاع بين الهيكليين والكرمليين الى ان اوفد البابا سنة ١٨٨٦ رئيس الرهبنة الى حيفا ليدرس الوضع عن كثب وبقي هذا يفاوض كلر اربعين يوما دون جدوى رغم انه تنازل للالمان عن قسم من ارض الجبل وفي عام ١٨٨٧ تدخل ملك المانيا بسمارك واخيرا تنازل الرهبان عن الارض بتوصية من البابا مقابل تعويض زهيد ومنذ ذلك الحين لم نجم كلر الذي كان نائبا لسفير المانيا والممثل لمصالح الالمان بحيفا وظل الى ان توفي سنة ١٩١٣ الشخص الذي « بيده مصير المدينة والجبل» • وقد تألق هذا المجد عندما زار ألقيصر الالماني ولهلم الثاني حيفا سنة ١٨٩٨ حيث كان كلر على راس مستقبليه بالاضافة الى قنصل المانيا في بيروت وقد نزل القيصر في الحي الالماني على الكرمل واقيم له نصب تذكاري حيث وقف واطل على الكلونية

الالمانية من على قمة الكرمل (وهذا ألنصب قائم حتى ألأن قرب فندق دان) •

قدم كلر الى البلاد ولم يكن بجيبه سوى مارك واحد وبعد ان وهبهم السلطان ١٢ الف دونم من ارض الكرمل ، اسرع هاردج الى بيروت يحمل مخططا للاستيطان على جبل الكرمل اعده المهندس القدير شومخر (الذي خطط كذلك الكولونية الالمانية) وفي وقت كان الكرمل فيه مخبأ للصوص وقطاع الطرق مليئا بالوحوش المفترسة وكانت السكنى فيه انذاك من ضرب المخاطرة اقدم كلر بجرأة وعزيمة غير عابيء بتلك الاخطار فبنى بيته الخاص في شارع كلر رقم ٢ حيث يقوم اليوم بيت راحيل وبجنبه بيت لابنه هانس لا يزال قائما وذلك سنة ١٨٨٧ • وفي سنة ١٨٩١ اقام المستوصف الالماني في شارع كلر رقم ٣ والذي هدم مؤخرا ثم بيوتا سكنية اخرى على جنبي شارع كلر •

كان كلر هو الذي فتح طريق الجبل (أي شارع الصهيونيه) وجادة هناسي أليوم حتى ألحي ألالماني ، كذلك شق الطريق من الحي الالماني حتى شاطيء البحر وهو شارع البحر اليوم لنقل الرمل من الشاطيء ألى الكرمل لفرض البناء • وهو الذي غرس الاف أشجار الصنوبر على طول شارع البحر وشارع هناسي وشارع هاتسفي وشارع هابروشيم وشارع دافيد بنسكي وشارع كلر وغرس المنطقة وسفوح الجبال بكروم

العنب واشجار الفاكهة على انواعها وكان يعصر الخمر ويصدره الى خارج البلاد وروي لي يعقوب سبكتر عن والده ان كلر هذا كان يحب اليهود ولما سئل مرة لمن تغرس كل هذه الاشجار اجاب : «انا اغرسها لابناء اسرائيل عندما سيعودون الى الارض المقدسة» •

لقد انشأ كلر على الكرمل اجمل حي سكنى في البلاد اطلق عليه اسم كرمل هايم وكان من اكبر اعوان كلر عائلة شومخر التي كان منها نائب قنصل أمريكا يعقوب شومخر والمهندس المشهور جوتليب شومخر المخطط للمستوطنات الالمانية والمهندس المسؤول عن دائرة الاشغال العامة (النافعة) بحيفا أيام الحكم التركي ومصمم الرصيف للميناء الذي اعد لنزول القيصر الالماني وعائلة شنايدر التي منها الدكتور شنايدر نائب القنصل البريطاني بحيفا والقسيس شنايدر صاحب النزل الكبير في شارع بانوراما •

بعد الحرب العظمى الاولى وانتصار الحلفاء على تركيا وحليفتها المانيا اخذ نفوذ الالمان يضعف في حيفا من ناحية اخرى فقد توفي كلر سنة ١٩١٣ ثم توفي ابنه هانس بمرض السرطان وسقط ابنه الثاني فريتس في الحرب ولم يبق من يرعى شؤون الحي ويتولى الحفاظ على الممتلكات والكروم الشاسعة فتولى بيرنج أحد الالمان على الكرمل والذي هدم بيته هذه الايام (وقد عرض هذا البيت على المرحوم جدي لشرائه بستين ليرة وكان يقع قريبا من شارع فراديم بروشيم ،) الاشراف على

شؤون الحي لكن بيرنج هذا اضطر ان يبيع ممتلكات كلر ومعه المان اخرون ، الى شركات استثمار يهودية وما كادت تندلع الحرب العالمية الثانية الا ولم يكن قد بقي من الالمان على الكرمل سوى القليل وفي الاربعينات اجلت الحكومة البريطانية جميع من تبقى منهم سواء على الكرمل او في حيفا او غيرها من المستوطنات الالمانية في فلسطين الى خارج البلاد •

لقد كانت لاهل الكبابير علاقة حسن جوار مع كلر وغيره من السكان الالمان سواء قبل الحرب العالمية الاولى او بعدها فقد كانت ارضهم على الجبل محاذية لارضه وكان كلر يحضر الى الكبابير ليشتري السماد لمزروعاته وينقله الى ارضه بالعربات وكانوا بدورهم يستعملون عربات كلر لقضاء حاجاتهم • كما وكان اهل القرية يبيعون منتوجاتهم الزراعية كالبيض واللبن للحي الالماني ولكلر بالذات وكان ابناء عودة واحفاده يتبادلون مع كلر الزيارات بمناسبات الاعياد وغيرها وعند وفاته اشتركوا في تشييع جثمانه وكان موكب جنازته كما يروون موكبا مهيبا •

ومن الدلائل على حسن الجوار الذي كان قائما بين أهل الكبابير وحي الالمان على الكرمل حادث السطو ألذي وقع على بيت أحد سكان الحي الألماني أخر أيام الحكم التركي عندما أهتمت السلطات بالأمر اهتماما كبيرا ودعت العديد من مخاتير ووجهاء القرى المجاورة وهددتهم

وحملتهم المسؤولية وعندما اتهم بعض الناس أهل الكبابير بالحادث هب أولئك الالمان أنفسهم ونفوا عن أهل القرية تلك التهمة •

بالاضافة الى الالمان الهيكليين الذين تزعمهم كلر اقام بعض الالمان البروتستانت في الفترة ذاتها بزعامة القسيس شنايدر عددا من البيوت على الكرمل على العموم في الناحية الشمالية حول شارع بانوراما لا يزال بعض منها قائما الى اليوم وقد بني شنايدر لنفسه بيتا هو البيت القائم اليوم غربي حديقة الام وانشأ نزلا ضخما في شارع بانوراما يطل على حيفا هدم حديثا كان يطلق عليه اسم كرمل مسيون هايم وكان على العموم مركزا للمبشرين البروتسانت الذين كان منهم من يتردد على الكبابير حتى مجيء الاحمدية اليها وكانت تؤجر بعض الغرف فيه للمستجمين من اغنياء حيفا •

اما الدير الالماني (الهوسبيس) الواقع في مركز الكرمل فقد انشيء حوال السنة ١٩٠٠م كفرع من الهوسبيس الالماني في حيفا الذي انشيء قبلئذ ولم يكن تابعا لجماعة الهيكليين الالمان الذين لم يمارسوا اقامة الاديرة بل لكنسة اللاتين التابعة للبابا وكان يشرف عليه عموما راهبات يستقبلن فيه النزلاء والمستجمين • وقد كان لاهل الكبابير صلة قديمة بهذا الدير استمرت منذ العهد التركي وحتى اواخر ايام الانتداب اذ كانت الكبابير تزود الدير بالالبان والمنتوجات الزراعية على

الدوام • كما وان لراهبات هذا الدير يد بيضاء على أطفال القرية للخدمات الطبية التي كن يقدمنها في الماضي مجانا خاصة في معالجة مرض العيون وفي وقت لم يكن بعد اطباء على جبل الكرمل •

وما دمنا بصدد الاستيطان الالماني على الكرمل لا بد من ذكر السيدة نيوتن Newton التي كانت معروفة لدى العرب بحيفا والقضاء ب «الست الانجليزية» وقد كانت تسكن في بيت لاحد الالمان والذي كان معروفا «بفندق بروس» وهو اليوم بيت روتشليد • وكان لهذه السيدة بيت اخر في حيفا قرب شارع ستانتون اليوم • وقد جاءت الى الكرمل زمن الحكم التركي وظلت الى ما بعد الاحتلال البريطاني • ويقول البعض انها كانت مبشرة مسيحية ولكن الكثيرين من يقولون أنها كانت شخصية سياسية وكانت تتمتع بنفوذ قوي لدى السلطات الرسمية بحيث كان يقصدها الكثيرون من سكان المنطقة للمساعدة في حل مشاكل مختلفة • وبسبب شهرتها ومركزها الاجتماعي فقد عرفت ناحية مركز جبل الكرمل وقتها لدى اهل المنطقة بالست نسبة لها • وسمعت ممن عرفوها وشاهدوها شخصيا انها كانت سيدة طويلة القامة عزباء جميلة الطلعة عليها مهابة الرجال وكانت تلقب بالسيدة المدخنة • وقد انتقل هذا البيت اثناء الانتداب البريطاني الى شركة بيكا بواسطة وكيلها المحامي وديع البستاني ومنها الى بلدية حيفا حيث اقيم فيه بيت للشبيبة بعد قيام دولة اسرائيل

اما ما يتعلق بالمستوطنين العرب فلم يكن على جبل الكرمل حتى اخر العهد العثماني بالاضافة الى الكبابير غير بضعة بيوت حول شارع بانوراما وقريبا من الهوسبيس الالماني منها بيت واكيم نقيره الذي لا يزال قائما غربي حديقة اللنبي وبجنبه بيتين لابناء حرب بشارة واخيه الياس (براكيات) ثم الى الغرب شمالي نزل شنايدر بيت لعائلة الابيض وعند اخر شارع بانوراما مقابل النصب التذكاري للقيصر الالماني بيت لاسكندر طويل • وربما بيت او بيتين غيرها •

هذه كانت صورة العمران على جبل الكرمل اخر العهد العثماني على وجه التقريب • قرية زراعية عربية في الناحية الغربية هي «الكبابير» وفيها قرابة ١٥ بيتا ثم الى الشمال الشرقي منها حي عصري انيق هو حي الالمان «كرملهايم» وفيه حوال ٢٥ بيتا ضمنه مقر السيدة الانجليزية نيوتن والى الشرق منه «الهوسبيس» الالماني ثم الى الناحية الشمالية المطلة على المدينة ٥ او ٦ بيوت عربية مسيحية •

الاستيطان اليهودي

ان فكرة الاستيطان الجماعي لليهود في فلسطين كما رسمها رائد الحركة الصهيونية هرتسل في اواخر القرن الماضي لم يقبل بها السلطان العثماني عبد الحميد فتبنتها الحكومة البريطانية واثناء الحرب العالمية الأولى اعطت اليهود ما يسمى بوعد بلفور وما كادت عصبة الامم تقر الانتداب البريطاني على فلسطين

بعد انتهاء الحرب حتى بدأ اليهود يتدفقون على البلاد بجموعهم الغفيرة وهم من كل حدب يتسللون • وكان لحيفا نصيبها من هؤلاء المهاجرين • اما جبل الكرمل فكان بغالبيته ممهدا للاستيطان اليهودي •

لقد كان في طليعة هؤلاء المستوطنين اليهود ابراهام اهرون سبكتور (أبو يعقوب) الذي قدم الى حيفا من القدس سنة ١٩٠٦ وكان صاحب الصيدليه الوحيدة في بلدة حيفا واسمها «صيدلية القدس» بالقرب من الجامع الكبير • وظل يسكن بجوار العرب وفي شارع الخطيب بحيفا الى ان بنى له اول بيت على ألكرمل سنة ١٩٢٢ وهو البيت ألواقع خلف بنك لؤمي في المركز • وقد رأى كثيرون من معارفه محاولته تلك نوع من المخاطرة • فقد روى لي ابنه يعقوب ان الثعالب كانت تعوي حول بيتهم في كل ليلة • وكان هو واخواته ينزلون الى مدرسة الريالى على الأقدام وأحيانا على الحمير • وكانوا يشترون حمل الماء (اربع تنكات) بنصف ليرة مصرية يجلبه لهم باعة الماء من الطيرة من نبع السياح •

وقبل أن يبني سبكتور اول بيت يهودي كانت عمليات اعداد الارض وتمهيدها تجري على قدم وساق • فهذا يعقوب أبيدون يقول في كتابه «كانت حيفا» انه عندما زار حيفا في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢١ صعد الى الكرمل مشيا على الاقدام مسترشدا بأنبوب ماء كان ممدودا الى البلدة من رأس الجبل (هو

الأنبوب الذي كان يزود محطة سكة الحديد بمياه السياح منذ سنة قضت) ولما وصل الى أعلى الجبل وجد مخيما للعمال اليهود في ناحية المركز اليوم وكانوا منهمكين بفتح الطرق وغرس الاشجار •

ويبدو انه بالاضافة الى سبكتور بنى في السنة ذاتها او التي تليها كل من موشلي في شارع محنايم مقابل بيت روتشلد وفيجن في المركز حيث الكوبات حوليم اليوم وبن عمي بجانبه الا ان جميع ما عمر في تلك السنة لم يتعد عدد اصابع اليد الواحدة •

لكن الدفع الكبير الذي طرأ على عملية استيطان اليهود على الكرمل فقد بدأ في السنة التالية اي سنة ١٩٢٣ بعد ان تأكد وتقرر نهائيا صك الانتداب الذي يلزم الحكومة البريطانية بالعمل على اقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين • فسرعان ما اقيمت عشرات انبيوت حول مركز جبل الكرمل كما وانشئت مستعمرة احوزة على اسم المندوب السامي هربرت صامويل كذلك حي النبي شعنان • واقيم في السنة ذاتها خزان الماء القائم اليوم في ساحة هنري هاينخ والذي بدأ يزود سكان الكرمل بمياه السياح بعد ان نقل المعسكر البريطاني من تلك الناحية واستغنت محطة سكة الحديد عن ماء السياح وانشئت منذ ذلك الوقت شركة المياه على الكرمل بمبادرة سبكتور • وفي السنة التالية انشيء خط الباصات الاول على الكرمل باشتراك سبكتور وفاينرمان ومعهما عربي واحد هو سعيد نامك •

وكانت محطته الرئيسية امام لوكاندا زاروبي [اورنيم اليوم] وكان الباص باديء الامر ينزل الى حيفا مرة او مرتين في اليوم •

لقد كانت حركة العمران على الكرمل بغالبيتها لليهود ما عدا قليل من الابنية التي اقامها العرب بعضها حول المركز وشارع بانوراما وقليل منها في ناحية المسكوبية والبعض الاخر في ستلا مارس وبيت في شارع كاديما لصاحبه ذيب الكايد المقاول من الطيرة ومع أنها كانت بيوتا حجرية في غالبها وجميله الا أنها لا تقاس من ناحية الكم بمئات البيوت اليهودية التي انشئت على الكرمل •

لقد حدث تباطؤ ما على حركة البناء منذ قيام الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية الا ان النهضة العمرانية تجددت في الاربعينات وباندفاع اقوى الى ان حلت حرب سنة ١٩٤٨ فنزح جميع السكان العرب عن الكرمل وبقيت الكبابير ألحي العربي الوحيد على الجبل والتي أذا قيست بالاف اليهود من حولها فنقطة في بحر •

لقد رافق اهل الكبابير حركة التطور والعمران على جبل الكرمل منذ بدايته وبنى ابناء القرية العديد من البيوت • وكانت علاقتهم مع جيرانهم اليهود وثيقة وقريبة سيما في المراحل الاولى للاستيطان على الكرمل فالى فترة كانوا يعرفون سكان الكرمل معرفة شخصية وكانوا يلتقون بهم يوميا ويتعاملون معهم وكان بينهم ثقة متبادلة وعلاقات حسن جوار خاصة مع الرعيل

الاول الذين كانوا معظمهم من اليهود الالمان • ولكن مع تكاثر السكان واختلافهم اخذت هذة العلاقات الشخصية تضعف كلما اقتربنا الى زمن قيام دولة اسرائيل وبدأت تحل محلها العلاقات الحضرية او علاقات اهل المدن حيث كل يعني بنفسه • فبعد انكان اهل الكبابير يعرفون معظم البيوت اليهودية المجاورة لهم وساكنوها زمن الانتداب اصبحوا في عهد اسرائيل لا يعرفون من يقيم حتى في البيوت المحاذية لبيوتهم وزال ذلك الاختلاط الذي كان في الماضي واصبح الطرفان لا يعرف الواحد عن الاخر ولا يهتم الواحد بشأن الاخر الا ما ندر • وهذه احدى المساوىء التي يعاني منها اهل الحضر وسكان المدن •

ولم يقتصر هذا الحال على علاقة اهل الكبابير بجيرانهم اليهود فحسب بل ان هذا التباعد قائم ما بين اليهود انفسهم ومن المؤسف ان مثل هذه العلاقات الحضرية اخذت تظهر حتى بين سكان القرية واصبح من بين ابناء العائلة الواحدة من لا يروا بعضهم بعضا الا في المناسبات والاعياد خلافا لما كان عليه الحال قديما •

جيراننا الدروز

«يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف»
(قرآن كريم)

لقد كانت الدالية وعسفيا القريتان الدرزيتان الوحيدتان من بين القرى العربية التي كانت تقطن سلسلة جبال الكرمل • ويرجع تاريخهما الى مئات السنين فقد جاء ذكر عسفيا مثلا في المعاهدة المعقودة بين السلطان قلاوون المملوكي والصليبيين سنة ١٢٨٢ م• وتعتبر دالية الكرمل اليوم اكبر القرى الدرزية في اسرائيل وجميع سكانها من الدروز • بينما تسكن قرية عسفيا طائفة مسيحية بالاضافة الى اهلها الدروز الذين يشكلون الغالبية الكبرى في القرية • تبعد عسفيا عن مدينة حيفا حول٢٠ كم بينما تبعد الدالية حول ٢٥ كم وبعد قيام دولة اسرائيل لم يبق على جبل الكرمل سوى هاتين القريتيين بالاضافة الى قرية الكبابير •

لقد كانت لاهل الكبابير صلات وعلاقات مع اهل هاتين القريتين منذ العهد العثماني فقد روى لي والدي على سبيل المثال ان لجده عبد الحي كان اصدقاء من بيت عزام والسابا من عسفيا وكان يذكرهم دائما في مجالسه •

وقد تأصلت هذه الروابط وتوثقت مع الزمان وفي

عهد الانتداب البريطاني اتسعت هذه العلاقات وكثر اصدقاء الكبابير ومعارفهم من القريتين حتى كان من بين سكان الكبابير وهاتين القريتين من تآخوا فيما بينهم • وقد كان والدي الكريم من بين هؤلاء وكان يحضر الى بيتنا من اهل القريتين ويقيمون عندنا اياما وليالي واذكر على وجه الخصوص معارفنا واصدقائنا من اهل الدالية وبالذات الاحمديين [عائلة احمد علي] من حمولة حلبي •

كما واذكر اولئك التجار النشطين المتواضعين الذين كانوا يحضرون الى الكبابير يحملون على دوابهم المنتوجات الزراعية كالحبوب والقطاني والخضار والفاكهة وكانوا يصلون الكبابير في ساعات الصباح الباكر بعد ان يكونوا قد قطعوا تلك المسافة البعيدة ليلا • ولا غرو فاهل الدالية مشهور عنهم نشاطهم وجدهم في العمل وقد امتازوا عن غيرهم بخصلة حميدة هي ذهابهم الى النوم مبكرين واستيقاظهم لاعمالهم في الغداة مبكرين •

وبعد قيام الدولة لم يبق كما اسلفت من القرى العربية على الكرمل غير الدالية وعسفيا • ولسهولة المواصلات ووسائل الاتصال عمت العلاقات جميع العائلات في الدالية وعسفيا بما في ذلك الطائفة المسيحية في عسفيا واصبح الجميع من سكان هاتين القريتين واهل الكبابير تربط بينهم علائق يومية يتعاطفون بعضهم مع الاخر

ويشاركون بعضهم الافراح والأتراح •

ومن خصائل الدروز الحميدة والتي امتازوا بها في جميع بلدان الشرق الاوسط كرمهم وسماحتهم حتى لقبوا وعن جدارة « ببني معروف » وقد تجلت هذه السماحة لدى جيراننا من اهل الدالية وعسفيا في ايام المحنة والظروف العصيبة ابان حرب ١٩٤٨ عندما نكبت القرى العربية المجاورة لهم واضطر اهلها الى النزوح عن قراهم وقد لجأت اعداد غفيرة منهم الى الدالية وعسفيا فما كان من بني معروف الا ان فتحوا لهم صدورهم ومنازلهم ودفنوا ما كان بينهم وبين بعض اهالي هذه القرى من ضغائن واحقاد ووقفوا الى جانبهم وواسوهم حتى ان بعض هؤلاء النازحين فضلوا البقاء في هاتين القريتين عن الهجرة ولم تضق بهم صدور بني معروف ولا زالوا يعيشون بينهم بأمن وسلام •

ثورة ١٩٣٦

«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض»

((قرآن كريم))

لقد كانت هذه الثورة امتدادا لحركات الاحتجاج التي قام بها عرب فلسطين في الماضي ضد السياسة البريطانية لكنها جاءت هذه المرة على شكل ثورة عارمة شملت البلاد بأسرها وبعكس ما كان في الماضي اخذت طابع الاستمرارية •

لقد حمل العرب السلاح وخرجوا الى الجبال سنة ١٩٣٦ واستمرت المناوشات بينهم وبين الانجليز حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ ــ ١٩٤٥] وعندها شددت الحكومة البريطانية الخناق على الثورة وضربتها بيد من حديد كي تتفرغ للحرب ضد النازية ، وفر الحاج امين الحسيني الموجه الاعلى لهذه الثورة الى المانيا •

ولكن بالاضافة الى ضرب الانجليز للثورة فقد تطرق الى صفوفها الانحلال والتفكك الداخلي ولم تعد قيادتها تسيطر على الموقف فاستغلتها عناصر انتهازية كان همها تصفية حسابات شخصية وكثرت اعمال الانتقام واغتيل الكثيرون ظلما وعدوانا •

وقد اصيبت البلاد من جراء الثورة بنكسة اقتصادية

لم تعهدها من قبل فقد اعلن الاضراب العام في جميع المدن العربية واستمر ستة أشهر متتالية •

لم ينخرط احد من اهل الكبابير في صفوف الثوار ولم يحملوا السلاح ما عدا أحد الاقارب من حيفا هو السيد داود علي خطاب الذي انضم الى الثورة منذ بدايتها وكان من بين قادتها المعروفين • الا ان اهل القرية بمجموعهم لم يقصروا في دعم الثورة ماليا وكانوا يتبرعون لصندوق الامة في كل مناسبة يطلب اليهم •

ومضت الايام دون أن يحدث ما يعكر صفو القرية الى ان دبت الفوضى في صفوف الثوار اخر الامر وانتهز الفرصة احد سكان الطيرة المدعو رشيد الشيخ وكان مستخدما عن أهل الكبابير في وقت مضى فالف فصيلا من اهالي الطيرة وتمرد على قيادة المنطقة التي كانت بيد ابي الدرة واخذ يدير دفة الامور ويتصرف على نحو ما يريد •

وفي احدى الايام انفذ هذا القائد رشيد رسالة بالخط الاحمر يطلب فيها من أهل الكبابير دفع ٥٠٠ ليرة فلسطينية في الحال وكان ذلك من قبيل المستحيلات خاصة وان البلاد كانت تمر وقتها باحوال اقتصادية سيئة• فانفذ اهل القرية اناسا الى قيادة الشيخ رشيد

لشرح الامر له ولكن هيئة اركانه لم تمكن الوفد من مقابلته •

وفي مساء ذلك اليوم أنتهز هذا القائد وفصيله وقت صلاة العشاء فضربوا طوقا حول المسجد وطلب رشيد الشيخ من المصلين احضار المبلغ في الحال وحيث لم يكن بالامكان تلبية الطلب اسر خمسة من المصلين كرهائن الى أن يدفع المبلغ ، وانصرفوا مع الرهائن باتجاه الطيرة •

وكان قد علم بهذة الغارة احد المعارف الغيرويين من اهل الطيرة هو المرحوم زامل ادريس من الباشية فخف هذا الى الكبابير ليلا والتقى بالثوار ومعهم الرهائن عند شلول الحياة قريبا من كفر سمير وبعد أن تدخل في الامر وتعهد للثوار بالمبلغ اطلق سراح المحتجزين • وقد جمع لهذا الوسيط في تلك الليلة مبلغ خمسين ليرة وانتهت المأساة •

وقد علمت ان الحاج محمد المغربي الذي كان ملازما المسجد وشاهد بعينيه المسرحية رأى في تلك الليلة رشيد الشيخ مضرجا بدمه وقد حدث فعلا ان قتل ذلك الشخص رميا بالرصاص في غضون اسبوع من ليلة الاعتداء على الكبابير •

حرب ١٩٤٨

«لو شاء الله ما اقتتلوا ولكـن الله يفعل ما يريد»

« قرآن كريم »

لقد كانت هذه الحرب ذروة النـــزاع العربـي اليهودي الذي دام ثلاثين عاما • وبعكس ما حدث في الماضي أخذ النزاع هذه المـرة شكل المواجهة المباشـرة بين العرب واليهود • ولم يكن عرب فلسطين وحدهـم في المعركة بل انضمت اليهم الدول العربية المجاورة • لم تكن هذه المرة مجرد أضراب أو احتجـاج أو حتـى ثورة بل حرب ضروس زهقت فيها ارواح الالاف مـن ابناء الشعبين •

• وما كادت تقر هيئة الامم في نوفمبر سنـة ١٩٤٧ تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخـرى يهودية حتى أخذ الانجليز يستعـدون للجـلاء وتركوا البـلاد في حالـة فوضـى وتناحر دموي رهيب • وكما هو معروف فقد رفضـ العرب التقسيم ونهضـوا لمقاومته بكل ثمن واما اليهود فتقبلوة بارتياح واعلنوا قيام دولتهم الجديدة اسرائيل على الجزء المخصص لهم ونبت الحرب وأستمر القتال حوال نصف السنة الـى ان اعلنت الهدنة وبعد ان كان اليهود قد كسبو رقعـة من الارض تزيد عما قرر لهم في التقسيم •

ومنذ بدأت المناوشات بين المـرب واليهـود في تشرين اول من عام ١٩٤٧ اغلقت الحدود بين الكبابير وجيرانها اليهود واقام سكان القرية استحكاماتهم على طول شارع عودة اليوم واقام اليهود مواقع لهم على طول شارع عاميكام اليوم وكانت تفصل بينهما منطقة حرام عرضها حوال ٢٠٠ مترا • وهكذا انقطع اتصال القرية بحيفا عن طريق الشارع الجديد الذي كان قد افتتـح لتوة والذي يمر من الاحيـاء اليهوديـة • فاضطـر السكان الى النزول الى شارع يافا في الساحل مشيـا على الاقدام او على الدواب ومن ثم الى مدينة حيفـا بالباصات العربية التي كانت لا تزال تصـل الى حيفـا من الطيرة والطنطورة وغيرهما من قرى الساحل •

وانتظم سكان القرية في فرق كانت تخرج لحراسة القرية بالتناوب ، وتولوا شؤونهم بانفسهم لعدم وجود قيادة عربية موحدة تدير دفة الامور فكان لكل بلـد او قرية قيادتها تتصرف على نحو ما ترى • وظـل سكـان الكبابير كغيرهم من اهل القرى في حيرة من الامـر لا يدرون ما ستؤول اليه الاحوال• وقد دام هذا الحصار قرابة نصف السنة وانقطع الناس عن أعمالهم ومـوارد رزقهم •

ولكن الذي اشغل بال الناس وقض مضاجعهم فهو حاجتهم الى السلاح للدفاع عن أنفسهم وبلـدهـم • فتوجه وفد من الكبابير الى لجنة حيفا الوطنية وقيادة النجادة فيها للحصول على السلاح ولكـن لسوء الحـظ

لم يلب لهم طلب وتركوا وشأنهم • وطفق الناس يبحثون عن السلاح في كل مكان وبأي ثمن • فتسنى للبعض شراء بعض القطع القديمة سواء من بعض تجار السلاح الانتهازيين او من قميم حيفا (وهو دهليز في ناحية من البلدة القديمة) • فكان يحدث ان يشعر من لم يجدوا سلاحا بجراحة تجاه أخوانهم المسلحين كما وأن الذين تسلحوا أخذوا ينظرون الى اخوانهم ممن لم يحصلوا على سلاح نظرة ازدراء بانهم لم يقوموا بواجبهم الوطني • وهكذا أصيب الناس بنوع من هستيريا التسلح والاحراج وأستمر هذا ألوضع حتى نهاية الحرب •

اما الاستاذ محمد شريف المبشر الاسلامي الاحمدي بالكبابير فعلى ضوء ما رأى من الفوضى التي تسود البلاد وكيف ترك العرب العزل بلا قيادة وبلا مصادر لتسليحهم بالسلاح المناسب ونظرا لحالة الارتباك والبلبلة التي كان عليها ألناس توجه بنداء الى اهل القرية بأن لا يركنوا الى ذلك السلاح العقيم الذي حصلوا عليه وكلفهم غاليا والذي لا يصلح في الواقع للمقاومة ولا يمكنهم أن يصدوا به أي عدوان مسلح عليهم ان حدث لا سمح الله وحثهم على الاكثار من الصلوات والتوجه الى الله بادعية حارة فالله وحده هو القادر على حمايتهم واذكر أنه كتب على لوح الجامع بالخط العريض بيتا من شعر لمؤسس الحركة الاحمدية سيدنا احمد عليه السلام جاء فيه :

الشوهدري محمد شريف المبشر الاسلامي الاحمدي في الديار العربية ١٠

وليس لنا سوى الباري ملاذ
فلا ترس يصون ولا السلاح •

واما السلاح الذي ابتاعه السكان والذي كان تشكيلة من الاسلحة الخفيفة والكثيرة الانواع تسنى لي مشاهدة معظمها فكانت أليق لأن تعرض في متاحف الاثريات من ان يعتمد عليها في معارك حربية • وعن هذا السلاح رأى ذلك المبشر الصالح رؤيا اعلنها للناس في حينه مفادها ان تلك الاسلحة التي حصل عليها الناس بشق الانفس ستدفن في صحن المسجد • وقد حدث فعلا ان جمعت هذة الاسلحة كلها يوم التسليم ووضعت في كومة واحدة أمام المسجد قبل تسليمها لقوات الهجانا •

لم يحدث خلال فترة الحصار اي تصادم مسلح أو ما من شأنه أن يثير أعمالا عدائية بين أهل الكبابير وجيرانهم اليهود • اللهم الا حادث واحد مؤسف واليم وقع على مرأى ومسمع من اهل القرية قتل فيه عدد من العرب فعكر جو السكان بل واوقع فيهم الرعب والخوف وكاد ان يعصف بهم الى ما وراء الحدود • وحيث كنت الشاهد الاول على ذلك الحادث اورده بالاختصار :

بعد ان توقف التعليم في مدرسة مار لوقا اثر اندلاع الحرب جاء ليودعني في الكبابير احد زملائي الانجليز وكان يسكن في الهوسبيس الالماني على الكرمل

وبينما نحن في بيتنا جالسون سمعنا طلقات نارية في سفح جبل اسكندر المقابل ثم تكررت العملية مرتين في غضون ساعة وهنا رأينا عددا من الاشخاص جيء بهم في سيارة مصفحة ثم اطلق عليهم الرصاص والقى بهم الى سفح الجبل فتنبه سكان القرية وانتاب الناس الذعر والخوف فهرع البعض الى معسكر الجيش الاردني في الساحل واخبروهم بما جرى وطلبوا مساعدتهم في الرحيل وحزم أخرون امتعتهم استعدادا لمغادرة القرية •

أما زميلي اندروس فكر راجعا الى البيت مذهولا ولم تمض ساعة الا وقد عاد ومعه ضابط بوليس انجليزي ومختار جبل الكرمل السيد سبكتور • فشاهدنا احد الضحايا لا يزال يتحرك بين النباتات والاعشاب فاخذني الضابط ومعنا سبكتور الى مكان الحادث وطلب مني النزول الى سفح الجبل لانقل الجريح الى الشارع فتجرأت ونزلت واذا بي وسط عدد من القتلى لا يقل عن العشرة وأخذت افتش عن الجريح وبعد لأي عرفته من بين القتلى وابى ان يتحرك او يرد علي الا بعد ان طمأنته بأني عربي ولم أحضر الا لانقاذه • بعدها نقلته مع الضابط الى مستشفى الحكومة وذهب سبكتور لشأنه • ثم عدنا مع عدد من رجال الشرطة الانجليز ومعهم سيارات وحمالات وبدأوا يجمعون القتلى وهنا اخذ اهلي ينادونني من الجانب الاخر فاستاذنت واقفلت عائدا •

في هذة الساعة الحرجة قام الاستاذ محمد شريف بدور لا ينسى في تاريخ القرية وهدأ من روع الناس وبمؤازرة بعض الشيوخ العقلاء أفلح في أبقاء السكان في بيوتهم بعد أن كان رحيلهم قاب قوسين أو أدنى •

لقد اثرت ذلك الحادث مؤخرا امام بعض اليهود والجيران ممن كانوا في مراكز قيادية في الهجانا اثناء الحرب واكدوا لي ان الهجانا استنكرت وشجبت ذلك العمل واعتبرته تصرفا غير مسؤول وقال لي اخر وهو الان شيخ بأنه أثار الحادث في القيادة وهدد بالاستقالة ان لم تحارب الهجانا مثل هذة الاعمال الاجرامية • وذكر لي أنه يشعر اليوم وقد طعن بالسن أن موقفه ذلك كان من اشرف ما وقف في حياته وانه يشعر بانه قام بما تتطلبه منه الجيرة الحسنة والواجب نحو الجار هكذا كانت تعمل القدرة الالهية تسهر على سلامة اهل هذة القرية الوادعة المسالمة • وهكذا كانت الجيرة ما بين سكان جبل الكرمل واهل الكبابير منذ بدأ الاستيطان على هذا الجبل •

وما أن مضت ثلاثة أيام على سقوط حيفا حتى حضر الى القرية بعض قادة الهجانا يرافقهم مختار الكرمل السيد سبكتور وطرحوا أمام أهل القرية الخيار أما التسليم أو الحرب ولم يكن عن التسليم بديل • عندها ضرب طوق حول القرية واجرت قوات الهجانا تفتيشا شاملا على جميع بيوت القرية بيتا بيتا بعد ان اخرج جميع السكان الى ساحة

المسجد • وكان مشهدا لم يتوقعه أهل القرية ولم يألفوا مثله في حياتهم •

أما الطيرة فقد تأخر احتلالها مدة شهر ونصف بعد سقوط حيفا ويقال أن سر ذلك كان حاجة الجيش البريطاني لعمال القرية قبل جلائهم • ولما دخلت قوات الهجانا القرية وجدتها قاعا صفصفا ليس فيها أحد • وتبين بان رجالها قد انسحبوا بسلاحهم دون أن يشعر بهم أحد •

وهكذا انتهت بسلام حقبة عصيبة لم يكن احد يعرف كيف سيكون منتهاها • واخذ الناس يخرجون رويدا رويدا الى حيفا بموجب هويات عسكرية مؤقتة الى ان تمت عملية احصاء السكان خلال السنة واصدرت للمواطنين هويات رسمية وعادت الحياة الى مجراها الطبيعي •

الحركة الاحمدية

«سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق»

« قرآن كريم »

الاحمدية هي حركة تجديد في الاسلام• اسسها سنة ١٨٨٩ المرزا غلام أحمد القادياني الهندي (١٨٣٦ ١٩٠٨) بامر من الله مدعيا انه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود والمصلح الذي ينتظر ظهوره أخر الزمان اهل الديانات السماوية •

وقد اعلن انه باعث النهضة الثانية للاسلام المشار اليها في القران الكريم بقوله تعالى :

« هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين• واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم (الجمعة)

وقال انه هو ذلك الرسول الذي سيبعث في الاخرين بعد ان بعث الله محمدا في الاولين فهو نبي ظلي لمحمد صلعم جاء ليحيي دينه ويقيم شريعته وكان مجيئه بعث الاسلام من جديد ولذا اطلق على حركته اسم (الاحمدية او الاسلام الصحيح •

وكما ان الشريعة المحمدية كانت خاتمة الشرائع

وناسخة لجميع الديانات السماوية السابقة • وكان محمد رسولا وهاديا للناس اجمعين طبقا لما جاء عنه في تلك الديانات من انباء كذلك جاء احمد ظله وخادمه للناس كافة فهو المهدي المنتظر والمسيح الذي يرقب المسلمون والمسيحيون نزوله من السماء وهو نفسه ذلك المصلح الذي يتوقع ظهوره أهل الديانات السماوية الاخرى • ويشرح خليفته الثاني المرزا محمود أحمد هذة المسألة في كتابه (الاحمدية او الاسلام الصحيح) بقوله : «حيث ان جميع الديانات السماوية المعروفة تتضمن انباء عن ظهور مصلح في اخر الزمان فالمسلمون ينتظرون المهدي والمسيح الموعود وينتظر النصارى المسيح عيسى بن مريم وينتظر الهندوس ظهور اڤاتار وينتظر الزردشتيون مسيو دار باهمى الخ• وبما ان العلامات المتعلقة بظهور هؤلاء المصلحين متشابهة في جميع هذه الديانات سواء من حيث الزمن او الكيفية فمن غير الممكن او المعقول ان يظهر جميع هؤلاء المصلحين في آن واحد فيسعى كل منهم لاعلاء شأن دينه واظهاره على الاديان الاخرى • فالجواب الحتمي هو ان جميع هذه الانباء تشير الى رجل واحد يجمع بقوته الروحية اهل جميع الديانات ويقود شعوب العالم نحو هدف واحد • وتكون له خصائص بحيث تتقلبه جميع هذه الشعوب وكانه جاء منها ولها بعث • وهكذا فقد كان (احمد) فارسي العنصر فهو المصلح الذي يرقبه الزردشتيون ، ولكونه هندي المولد فهو كذلك المصلح الموعود للهندوس ، ولكونه مسلم العقيدة فهؤ ذلك المسيح

الموعود والمهدي للمسلمين ، ولكونه ولد وعاش في ظل حكومة مسيحية وجاء ليدافع عن شرف يسوع المسيح فهو جدير بان يقبل مسيحا للنصارى»

وبما ان مؤسس الحركة الاحمدية جاء لاحياء الدين الاسلامي وكان الاسلام شريعة الله الكاملة لكافة الشعوب والاقوام لذا فان نشاط الحركة الاحمدية يمتد على جبهتين الاولى داخلية ومجالها العالم الاسلامي والثانية خارجية ومجالها العالم الواسع وشكل خاص العالم المسيحي •

فعلى الصعيد المحلي جاء مؤسس الاحمدية بصفته المهدي المنتظر «حكما عدلا» فيما نشأ بين طوائف المسلمين من خلافات وفقا لما نصت عليه الاحاديث النبوية وبالتالي لتوحيد هذه الطوائف تحت امام واحد • ومن المفاهيم الجديدة والشروحات الحديثة التي جاءت بها الاحمدية ولا تزال موضع بحث مع معظم المسلمين ما يلي :

١ــ المسيح بن مريم :

يعتقد عامة المسلمين ان المسيح بن مريم حي في السماء وانه سينزل اخر الزمان لهداية الامة الاسلامية أما الاحمدية فتقول أنه مات كأخوانه الانبياء الاخرين واكتشف مؤسس الحركة الاحمدية قبره في

مدينة سرينجر بكشمير ولن ينزل من السماء لانه لم يصعد الى السماء • وأما المسيح الذي سيأتي فشخص من الامة المحمدية يشبهه من حيث الوظيفة والرسالة وهو مؤسس الحركة الاحمدية • وبذلك تكون الاحمدية قد حلت وبصورة نهائية معضلة دينية طالما اشغلت واتعبت افكار المسلمين والمسيحيين واليهود على مر السنين •

٢ــ الوحي والنبوة

يعتقد عامة المسلمين ان محمدا كان اخر الانبياء والمرسلين زمنا مستندين الى قوله تعالى
«رسول الله وخاتم النبيين»
ويدعون أنه بوفاته انقطع الوحي الالهي ايضا عن البشرية• وتقول الاحمدية ان لفظ خاتم وخاصة كما جاء في القران بفتح التاء لا يعني اخر زمنا بل هو لفظ جاء ليبين أفضلية النبي وعلو شأنه بالنسبة للانبياء الاخرين وبهذا المعنى استعمل اللفظ في اللغة العربية•

أما عن الوحي فتقول الاحمدية أن كان ذلك الاله الذي خلق الكون وأرسل الانبياء واوحى اليهم فيما مضى لا زال حيا فلا بد أن تظل صلته بعبادة كما كانت على مر العصور يسمع لهم ويخاطبهم اليوم وفي كل يوم كما كان يفعل في الماضي فهو اله حي ازلي سرمدي لم تعطل صفة من صفاته سبحانه • وقد جاء مؤسس الحركة الاحمدية

برهانا عمليا حيا على استمرارية الوحي وبأن الاسلام

٣ــ الجهاد :

دين حي •

تشرح الاحمدية الجهاد بانه واجب اساسي مفروض على كل مسلم دائما وابدا وهو المجاهدة بمختلف الوسائل لعمل ما هو خير وعلى الاخص ما هو في سبيل الدين • أما حمل السلاح ضد الاخرين وهو نوع من الجهاد فلا يجوز الا للدفاع عن النفس من اعتداء مسلح وفيما عدا ذلك لا يعد جهادا •

٤ ــ النسخ :

تؤكد الاحمدية ان لا ناسخ ولا منسوخ في القران قطعا وبتاتا فكل اية فيه وكل كلمة لها مقامها وحكمها وما دام القرآن كلام الله فلا تناقض فيه ولا تعارض • واما المفهوم الصحيح لقوله تعالى :

«وما ننسخ من أية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها» فهو ان القران جاء ناسخا لما سبقه من الشرائع وليس المعنى آيات القران نفسها بان الآية الواحدة تنسخ الأخرى وتبطلها •

٥ــ الاجتهاد :

تدعي الاحمدية ان باب الاجتهاد لم ولن يغلق • وما دام الاسلام دين حي متجدد فلا مندوحة من الاجتهاد

وتمتاز الاحمدية عن غيرها من الطوائف الاسلامية بأن فتحت الاجتهاد على مصراعيه من جديد فنشرت الشروح والتفاسير الجديدة للقران والمسائل الدينية الاخرى بما يتناسب وروح التطور • كما وترجمت القرآن الى العديد من لغات العالم المعروفة •

اما على الصعيد الخارجي فاول ما تعمل من اجله الاحمدية ازالة سوء الفهم وتصحيح الصورة المشوهة التي رسمها بعض المستشرقين المعروفين عن الاسلام لدى الشعوب الغير المسلمة وخاصة في العالم الغربي المستنير • ثم أيصال الدعوة الاسلامية الى حيث لم تصل بعد ولهذا الغرض اقامت المراكز البشيرية في معظم بلدان الغرب •

ومن الامور الاساسية التي تركز عليها الاحمدية في عملها بين اصحاب الديانات الاخرى هو ان الاسلام لا يتنكر لاي دين سماوي اخر بل جاء متمما ومكملا لبناء واحد سبق واسهمت في بنائه على مراحل مختلفة الديانات السماوية الاخرى ولذا كان الاسلام النص الكامل للشرع الالهي لبني البشر عامة ولا يصح ايمان مسلم الا بقبول الانبياء والمرسلين السابقين وما انزل عليهم من الشرائع • وهذه نظرة ينفرد بها الاسلام عن غيره من الديانات ، وتكون اقوى قاعدة لبناء اسرة بشرية واحدة •

كما وتركز الاحمدية في المجال الخارجي على اهمية تبرئة المسيح عيسى بن مريم من الصلب وبأن الله نجاه من تلك الميتة الملعونة حسب الكتاب المقدس ،وقد

اماته الله كباقي انبيائه واصفيائه ميتة طبيعية ، ودفن في هذة ألارض حيثما دفنوا وليس جالسا على يمين الرب أو على شماله وليس هو اله أو أبن اله •

لقد كان أول من وصل البلاد المقدسة من اتباع الجماعة الاحمدية الاستاذ زين العابدين الذي ارسل من قبل الخليفة الثاني للتخصص في اللغة العربية فنزل الديار المصرية سنة ١٩١٣ ثم انتقل الى بيروت سنة ١٩١٤ حيث درس العربية على يد الاستاذ صالح الدين الرافعي الذي قبل الاحمدية • ومع أن زين ألعابدين هذا لم يوفد للتبشير بصورة رسمية الا أنه بدافع حماسة الشخصي نشر الدعوة بين الكثيرين • ولدى أندلاع انحرب العالمية الاولى عين مدرسا لتاريخ الاديان في كلية صلاح الدين الايوبي (الصلاحية) بالقدس والتي كان مهمتها تخريج افواج من المبشرين المسلمين •

وفي سنة ١٩٢٤ زار الخليفة الثاني المرزا محمود أحمد يرافقه وفد من أتباع الحركة الاحمدية كل من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وكان في طريقه الى لندن لحضور مؤتمر للاديان هناك وقد تجول في كل من بيروت ودمشق والقدس والخليل وحيفا ونشرت الصحف المحلية في القدس وبيروت خبر هذه الزيارة ومقالات تضمنت شروحا عن مباديء الحركة الاحمدية ومعتقداتها وبات الجو مهيئا للقيام بعمل تبشيري منظم • ★

راجع جريدة لسان العرب الصادرة في القدس بتاريخ ٥ — ٦ اب و ١٩ — ٢٠ اب ١٩٢٤ • وجريدة الاحرار الصادرة في بيروت بتاريخ ١٠ اب ١٩٢٤ •

وفي سنة ١٩٢٧ اوفد اول مبشر اسلامي احمدي الى دمشق هو الاستاذ جلال الدين شمس • فلقي معارضة ومقاومة شديدة من قبل العلماء حتى اعتدى علىحياته فاضطر ان ينتقل الى حيفا سنة ١٩٢٨ فاستقر فيها قرابة السنة وفيها تعرف على اهل الكبابير الذين رحبوا بقدومه اليهم وتقبلوا دعوته • فانتقل الى الكبابير وجعلها مقرا دائما للحركة وظلت الكبابير منذ ذلك الحين المركز التبشيري العام في فلسطين وبلدان الشرق الاوسط قاطبة •

لقد باشر الاستاذ شمس سنة ١٩٢٩ ببناء المسجد في الكبابير وشرع باصدار المنشورات والكتب الدينية ثم طور المركز خلفه الاستاذ ابو العطاء الجالندهري الذي فتح بدوره المدرسة الاحمدية للبنين والبنات ومدرسة ليلية للكبار وانشأ المطبعة الاحمدية وبدأ يصدر مجلة البشارة الشهرية سنة ١٩٣٢ وبعدها مجلة البشرى سنة ١٩٣٥ والتي لا تزال تصدر منذ ذلك الحين •

ومن الجدير بالذكر أن الكبابير كانت أول قرية عربية تقبلت الاحمدية بصورة جماعية ولم يلق المبشرون من اهلها تلك المقاومة او العنف الذي لاقوه في الاماكن الاخرى بل استمع أهلها الدعوة بهدوء وسكينة وكانوا بسلوكهم هذا كمن قال عنهم سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :

« الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب» ــ (الزمر)

اما مشايخ حيفا وغيرهم من المتعصبين فلم يكفوا عن مقاومة المبشرين الاحمديين منذ نزلوا هذه الديار وقاموا بمحاولات متكررة للاعتداء عليهم وحتى النيل من حياتهم • كذلك فقد ناصبوا الاحمديين من حيفا والكبابير العداء وكانوا يحرضون على مقاطعتهم ومقاومتهم بشتى الطرق وكان من هؤلاء المشايخ من نادوا بتفكيرهم • وبينما كان أفراد الجماعة الاحمدية يقومون بجولات تبشيرية في مختلف البلاد كانوا يتعرضون لاعتداءات متكررة وكانوا يلقون الاذى الى حد اصابتهم بجراح ونقلهم الى المستشفيات •

لقد شاهدت ولمست الوانا من تلك الاعتداءات •من ذلك انني صحبت والدي مرة في جولة تبشيرية الى القدس وضواحيها مع عدد من الاخوان ولم اكن اتجاوز بعد العاشرة من عمري وبينما نحن عائدون من الخليل انهال علينا بعض المشايخ المتعصبين بعصيهم داخل سيارة الباص فاخذت ابكي •

وفي مناسبة اخرى رافقت احد الاخوان الى الناصرة لاساعد في حمل المنشورات وتوزيعها وكنت قد كبرت قليلا • وهنا انقض علينا بعض المتعصبين

المسيحيين وطاردونا حتى اضطرونا الى مغادرة مدينة رسول السلام •

كما ولا بد من ذكر تلك المؤامرة الخسيسة الفاشلة التي دبرها بعض اشرار حيفا عندما نصبوا في احدى الليالي كمينا مسلحا ليقتلوا المبشر الاستاذ أبو العطاء أثناء عودته ألى الكبابير ولكن بنادقهم تعطلت بقدرة قادر ولم يفلحوا في اطلاق رصاصة واحدة عليه • وقد اقر أحد المشتركين في وقت لاحق أمام أهل الكبابير • وكان المبشر هو الأخر قد شعر بالخوف يومها عند اقترابه من موقع الكمين وأخبر بذلك أفراد الجماعه حال وصوله •

هذا ولا انسى ذلك اليوم عندما وصلت الكبابير اخبار اعتداء اهل عكا الاثيم على وفد الجماعة وهم يؤدون واجب التبشير حينما أصيب معظمهم بجراح ونقلوا الى المستشفى بعد أن أنقذتهم الشرطه من أيدي المعتدين •

وقد ادت حملات المشايخ وموافقهم العدائية هذه الى رفض محكمة حيفا الشرعية النظر في قضايا الاحمديين الشخصية على اعتبار أنهم غير مسلمين ولم يعد أحد من الماذونين الشرعيين يجرأ على اجراء عقد نكاح لاحمدي • وبعد ان أثار المبشر الامر لدى المجلس الاسلامي الاعلى في القدس اصدر المجلس تعليماته الى الهيئات الدينية بحيفا بان تعتبر الاحمديين كطائفة من الطوائف الاسلامية وبأن تعالج المحاكم الشرعية قضاياهم الشخصية كباقي المسلمين • واذكر

انه قريبا من ذلك التاريخ تزوج المبشر الاستاذ محمد شريف من أحدى الفتيات الاحمديات من القرية بعد أن أنتقلت زوجته المجاهدة الى رحمة ربها في الكبابير ، وحضر لعقد القران احد المشايخ من حيفا وفي اثناء تبادل الكلمات في المسجد رايت ذلك الشيخ متأثرا ومعجبا بالموقف وقد عبر عن ذلك التأثر بلفظ لم يغب عن بالي منذ ذلك الحين وقد سمعته لاول مرة يقول «لقد تراقصت عضلاتي»

لقد شعر المبشرون بعد استقرارهم في الكبابير بجو من الهدوء والاطمئنان مكنهم من تنظيم حملات تبشيرية الى مختلف البلدان المجاورة لنشر الدعوة وصارت الكبابير منذ ذلك الحين مركز الحركة الاحمدية والبلد الوحيد في الشرق الاوسط الذي يعرف ببلد الاحمديين •

وكثيرون من يسألون كيف كانت الكبابير اولى البلدان العربية والسباقة لقبول الاحمدية ؟ وكيف ولماذا وجدت الاحمدية في هذه القرية وليس في غيرها التربة الخصبة لغرس هذه الدعوة ؟ ان من يتأمل احوال اهل الكبابير ويدرس مراحل تطور هذه القرية لا بد ان يجد من الاسباب والعوامل التي ادت الى ذلك • وبرايي كان من تلك العوامل ما يلي :

اولا : حب اهل الكبابير للدين •

وقد ظهر اهتمامهم بهذه الناحية منذ وطأت اقدامهم هذا المكان • فكانت الزاوية من بين البيوت الاولى التي

بنوها لغرض أقامة الشعائر الدينة فيها • كما ان تقديرهم للدين هو الذي حدا بالاجداد المؤسسين ان يوفدوا واحدا من الاخوة الخمسة الى الازهر لتعلم الدين •

ثانيا : انباعهم للطرق الصوفية •

ان انضمامهم الى الطرق الصوفية المتعددة قبل الاحمدية كما جاء في الفصل عن حبهم للدين ومنذ السنوات الاولى لقدومهم الى الكبابير دليل على رغبتهم وميلهم الى معرفة الحقيقة والتقرب الى الله تعالى • وهذه الفطرة السليمة فيهم والاستعداد لقبول الحق يتناسب مع طبيعة الدين الاسلامي المتجدد الذي لا يعرف الجمود ولا التعصب •

ثالثا : الاشارات الغيبية •

لقد لمس اهل الكبابير بعض المؤشرات الغيبية التي لا بد وكان لها اثر على تقبلهم الاحمدية• من ذلك رؤيا احد أبناء عودة هو الشيخ عبد الله الذي كان معروفا في بلده وبين أهل البلدان المجاورة بالرجل الصالح التقي • مفادها ان المهدي قد ظهر وانه حضر الى الكبابير ونصب خيمته غربي القرية (وفي هذا المكان بالذات بنت الاحمدية فيما بعد المسجد) ثم ما كان يسمعه ابناء القرية الشاذلين من شيخ الطريقة الشاذلية الذي سئل مرة عن رأيه في القادياني

مؤسس الحركة الاحمدية وكان خبر ظهوره شائعا في البلاد وقتها فقال : «أنه رجل ونعم الرجل» وفي مناسبة اخرى وصى شيخ الطريقة هذا جماعته في حيفا بان يوسعوا زاويتهم لانها ستضيق ذرعا بالهنود المسلمين الذين سيفدون اليها في المستقبل •

رابعا : الموقع الجغرافي

ان وجود الكبابير في رأس جبل الكرمل وفي مكان بعيد عن تأثير المشايخ المباشر سواء من حيفا أو من الطيرة لا بد أن قد ساعد على اتخاذهم القرار بالانضمام الى الاحمدية ثم الثبات عليه ورغم انعزال الكبابير عن الطيرة وحيفا فقد كانت محاولات من المشايخ واعوانهم لحمل اهل الكبابير على ترك الاحمدية بطرق مختلفة كما وكانت محاولات لاخراج المبشر من الكبابير لكن موقعهم الفريد مكنهم من الصمود امام جميع التهديدات وساعدهم على الوقوف امام الاعتداءات ككتلة متراصة •

خامسا : التركيب العائلي

لقد كانت العائلة الكبرى في الكبابير عائلة عودة وكانت هي العائلة المبادرة لقبول الاحمدية ومن بين أبنائها تألفت الجماعة الاحمدية بغالبيتها • بالاضافة الى ان معظم العائلات الصغيرة انضمت هي الاخرى الى الاحمدية ،لذا لم يكن هناك مجال لتناحرات عائلية ولم

يكن للاحمديين في الكبابير منافسون أو منازعون يخشى جانبهم •

سادسا : المبشرون انفسهم

لقد كانت شخصية المبشر وقدرته البيانية عاملا حاسما في اقناع أهل الكبابير وحملهم على قبول الاحمدية • ولا يزال الاحمديون القدامى يذكرون بالاعجاب البالغ اولئك المجاهدين الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدين وما كانوا يمتازون به من قوة تأثير وسحر بيان وعلى وجه الخصوص ذلك الفاتح الاول الاستاذ جلال الدين شمس الذين يصفون مواعظه وبياناته بالغيث الذي ينزل من السماء فيحيي الارض بعد موتها • ولا عجب فان مثل هذه الملاحظات نطقت بها افواه غير الاحمديين كذلك • فقد حدث مرة ان القى المبشر شمس المذكور محاضرة في احدى النوادي في القاهرة وما كاد ينهي حديثه حتى نهض احد الحاضرين وصاح باعلى صوته قائلا : والله لان روح ابن عباس قد تجلت في هذا الموقف •

سابعا : القدرة الالهية

بالاضافة الى ما ذكر وفوق كل ما جاء لا يمكن انكار الحقيقة أن القلوب بيد الله وهو الذي يقلبها كيفما يشاء • ويكفينا للدلالة على ذلك خطابه

تعالى لنبيه وحبيبه الكريم اعظم واقدر مصلح ظهر على وجه الارض حيث قال :

[انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين] القصص اية ٥٧

بعد ان كانت الكبابير في الماضي قرية معزولة عن العالم الخارجي ولم تتجاوز علاقاتها المدن والقرى المجاورة لها اصبحت بعد دخول الاحمدية اليها بلد معروفةيشار اليها بالبنان • فالمناظرات التي كانت تجري بين الحين والاخر في الكبابير وحيفا والبلدان المجاورة حول الاحمدية ثم صدور النشرات وألمجلات والكتب الاحمدية ووصول وفؤد التبشير من أبناء الجماعة في الكبابير الى كل بلد من مدن وقرى فلسطين كل ذلك أخرج الكبابير من عزلتها واصبحت تعرف ليس فقط في جميع أنحاء فلسطين بل وفي العالم الخارجي ايضا •

وقبل قيام دولة اسرائيل كانت الكبابير المركز التبشيري الرئيسي للحركة الاحمدية في جميع بلدان الشرق الاوسط وكان يفد اليها وبصورة دائمة ألصحفيون والعلماء ورجال الدين على اختلافهم يستفسرون عن الاحمدية ويناقشون ويناظرون كما وكان المبشر يدعى بين الحين والاخر اما لالقاء محاضرة او للاشتراك في مناظرة ليس فقط مع المسلمين بل ومع المبشرين المسيحيين ألذين كانوا يحضرون الى الكبابير باستمرار

قبلئذ من مركزهم القريب في بيت شنايدر الالماني على جبل الكرمل ولم ينقطعوا عن الكبابير الا بعد ان رسخت اقدام الاحمدية فيها •

كما ولا بد ان نذكر اولئك العلماء والمبشرين الذين كانوا يعرجون على الكبابير وهم في طريقهم الى الغرب أو الى أفريقيا في مهمات تبشيريه ليزوروا اخوانهم من العرب وكذلك العائدون منهم •• الى ألهند • كذلك ولا يمكن أن نغفل زيارة أولئك الضباط والجنود الاحمديين الذين كانوا يتركون معسكراتهم ويحضرون من مسافات بعيدة في بلدان الشرق الأوسط لاداء صلاة ألجمعة مع دأخوانهم في مسجد الكبابير وكانت خاتمة تلك الزيارات التاريخية زيارة السير محمد ظفر أللـه خان ألكبابير سنة ١٩٤٥ حيث قضى فيها بضعة أيام والتقى بزعماء هذة البلاد على اختلافهم وتناقلت صحف البلاد أخبار هذة الزيارة •

وبالاختصار فقد اصبح تاريخ الكبابير بعد انضمامها الى الاحمدية جزء لا يتجزأ من تاريخ هذه الحركة واصبحت الاحمدية العامل الرئيسي في توجيه الحياة في القرية وصارت الكبابير بعدها تعرف لدى القاص والداني «بالبلد الأحمدي» •

المصـــادر

١) ـــ روايات شفهية عن شيوخ الكبابير والطيرة والسيـــاح وسكـــان حيفـــا وجبـــل الكرمـــل القدمـــاء يهـــودا وعربا ١٩٧٥ ـــ ١٩٨٠ ٠

٢) ـــ ارشيف بلدية حيفا ـــ بلدية حيفا ٠

٣) ـــ ارشيف لجنة جبل الكرمل ـــ معهد اباحوش ـــ جامعـــة حيفا ٠

٤) ـــ تاريخ حيفا في عهد الاتراك العثمانيين ـــ الكس كرمل ـــ حيفا ١٩٧٩ ٠

٥) "Oliphant's Haifa" — New York 1886

٦) "Survey Map of Western Palestine" C·R· Conder and H·H· Kitchener R·E· London 1881

٧) "The Mediaeval Abby of St· Margaret of Mount Carmel" — Elias Friedman· Rome 1971

٨) "Ahmadiyyat or the True Islam· Mirza Bashir-ud-Din· Mahmoud Ahmed· Rabwa· Pakistan· 1945

٩) חיפה בעבר, בהווה ובעתיד — חוברת הסברה, עיריית חיפה, 1978.

١٠) "היה היתה חיפה", יעקב דורדון, תל-אביב, 1920.

١١) מדריך ארץ ישראל, וילנאי, תל-אביב, 1955.

١٢) مجلة «البشرى» ـــ الكبابير حيفا

★ محتويات الكتاب ★

المقـــدمه	٣
نسب آل عودة	٧
الهجرة من نعلين الى الكبابير	١٥
الكبابير ـــ دار القرار	١٧
العائلات الأخرى	٣٣
المواقع	٣٩
الأرضـــ	٤٤
النزعة الدينية	٥٠
عودة المضياف	٥٤
العلم والتعليم	٥٨
الخدمة العسكرية	٦١
واد السياح	٦٧
الطـــيرة	٧٤

رشميا ٧٨
حيفا ٨١
جبل الكرمل ٩٧
جيراننا الدروز ١١٨
ثورة ١٩٣٦ ١٢١
حرب ١٩٤٨ ١٢٤
الحركة الاحمدية ١٣٢
المصادر ١٤٨
المحتويات ١٤٩

4104

الكاتب والكتاب

عبد الله بن اسعد بن سعيد بن عبد الحي بن عوده الندا ، ولد في الكبابير في السادس من اذار سنة ١٩٣٠ م . تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الاسلامية الاحمدية بالكبابير . ثم التحق بمدرسة مارلوقا الثانوية بحيفا (قرب العزيزية) وحصل منها على شهادة المتركوليشن لجامعة لندن .

ثم تلقى تعليمه العالي في الجامعة العبرية بالقدس وتخرج منها بشهادة بكلوريوس ب.ع. في العلوم الاجتماعية ثم حصل من الجامعة ذاتها على شهادة الماجستير في اللغة العربية وادابها بدرجة امتياز . متزوج واب لستة أولاد .

والكتاب الذي بين ايدينا ثمرة عمل مجهد متواصل قام به المؤلف خلال سنوات عديدة كرسها للجمع والدرس والفحص والتمحيص لكل ما يتعلق بتاريخ بلدة الكبابير منذ انشائها ابان العهد العثماني وعلى مدى فترة الانتداب البريطاني وحتى قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ .

توخى الكاتب وهو ابن الكبابير ، الدقة والصدق والموضوعية في تسجيله لتاريخ الكبابير ومؤسسيها . والظروف التي رافقت تطور البلدة وكل ما يحيط بهذا الموضوع كل ذلك في عشرين فصلا بما في ذلك فصل خاص عن الحركة الاحمدية الاسلامية التي ينتمي اليها المؤلف ، متطرقا الى تاريخ نشوء هذه الحركة والى عقائدها واهدافها واجتهاداتها وكيف وصلت الدعوة الى هذه البلاد فتبناها اهل الكبابير وتقبلوا دعوتها واصبحت مقرا دائما للحركة الاحمدية في هذه الديار المقدسة حتى عرفت الكبابير بالبلد الاحمدي.

حقا ان هذا الكتاب وثيقة هامة تلقي الضوء على امور يجدر الاطلاع عليها .

دار المشرق